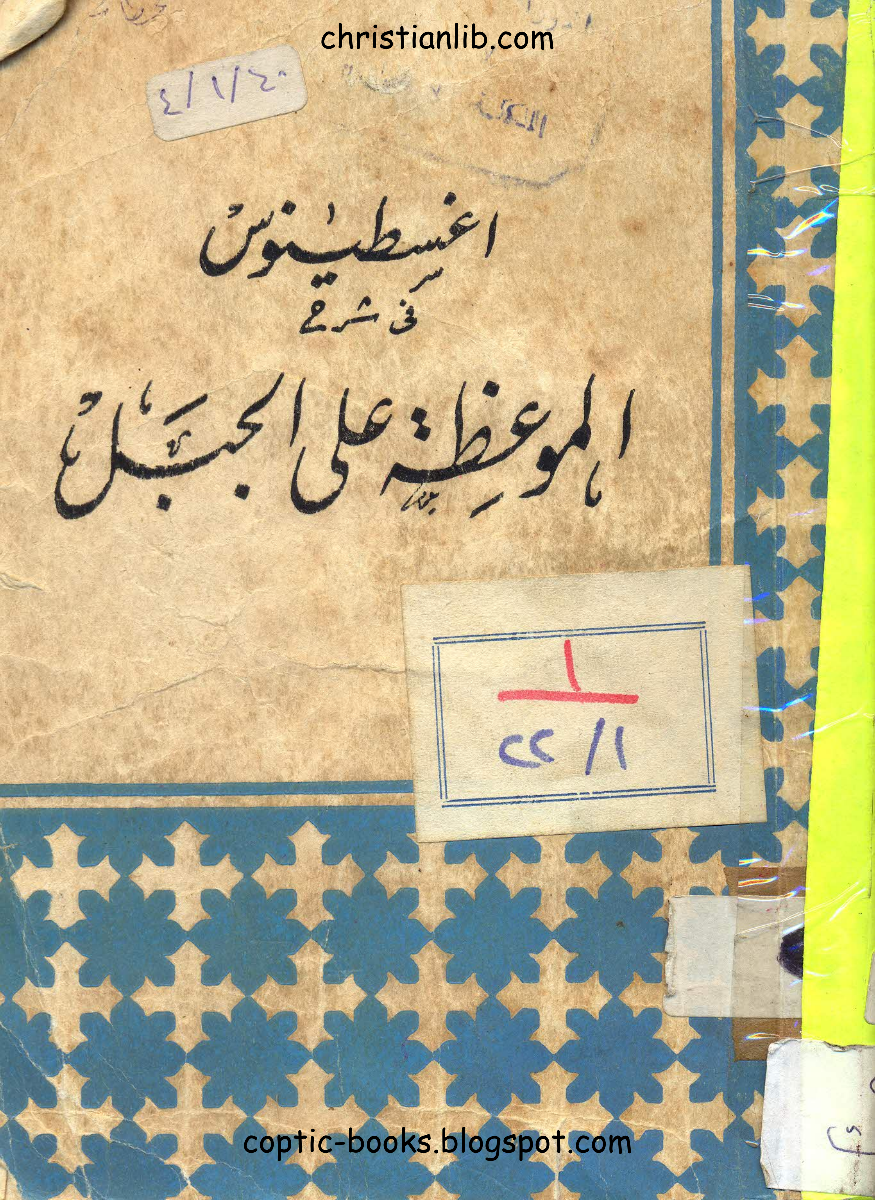


اغسطينوس

في شرح

الموعظة على الجبل

مقدمة الطبعة الأولى

† بين يديك أيها القارىء العزيز كتاب لمؤلف عظيم، لا يحتاج إلى تعريف. فلقد انتقل القديس أوغسطينوس إلى السماء فى عام ٤٣٠ م ولكن سيرته، إلى اليوم، تعتبر نوراً ومرشداً للتائبين حتى لقد قيل أن الذين رجعوا إلى المسيح بسماع سيرته زادوا فى العدد عن الذين تابوا عن طريق عظاته.

† وأغسطينوس قضى جزءاً كبيراً من حياته فى دراسة فلسفات العالم المادية، واقترف من الشرور الكثير جداً. ولكن عندما أضاء المسيح حياته تحول إلى قديس يعترف به العالم كله. ومن دراسة حياته يمكننا أن نفهم اتجاهاته فى كتاباته التأملية والتفسيرية.

† فهو يعطى أهمية كبرى **للكتاب المقدس** فحتى فى أيام شروره الأولى كان يدرس الكتاب، ويرى فى الكتاب المقدس الكمال الروحى ويؤمن به لأن نبوات العهد القديم قد تحققت فى العهد الجديد، كما أن تعاليمه قد انتشرت رغم مقاومة العالم لها. فأغسطينوس يؤمن ويعتقد أن نجاة الإنسان لا توجد إلا فى الكنيسة وفى الكتاب المقدس.

† ولقد كانت **الرهبنة القبطية** من أهم العوامل التى أثرت فى

حياة القديس إذ يقول كتاب تاريخ فلسفة العصـــر الوسيط « ووفد عليه زائر كريم حدثه عن حياة الرهبان فى مصر » ويذكر أغسطينوس نفسه فى إعترافاته عن القديس أنطونيوس أب الرهبان « الرجل الكامل والقديس » The Holy and perfect man فبكل تأكيد أصبح أنطونيوس المصرى هو أستـاذ أغسطينوس فى التصوف المسيحى .

† أما من ناحية **تأملاته العميقة** ، وميله للرمز فى تفسيره ، فهو كفيلسوف قد أثرت فيه دراساته الفلسفية . وكأنه كان يتتلمذ على أيدى أساتذة مدرســـة الاسكندرية فى تأملهم وتفسيراتهم للكتاب المقدس وبالأخص الأستاذ الأول العلامة أوريجانوس. ولكن لا يمكن أن ننسى أن أوغسطينوس قاوم بشدة تعاليم أتباع أوريجانوس لأنهم قد انحرفوا فى تعاليمهم .

† من ناحية **الايمان وعلاقته بالعقل**، فهو يرى أن الإيمان ليس عاطفة غامضة ؛ ولكنه قبول عقلى لحقائق إن لم تكن مدركة فى ذاتها كالحقائق العلمية فهى مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالتصديق بعلامات خارقة. وللعقل مهمة بعد الإيمان هى تفهم العقائد الدينية.

† ومن ناحية **الملحدين** يرى أن الإلحاد جنون مطبق، ويقول ان الملحدين إنما ينكرون وجود الله بسبب شهواتهم ، وأنهم على

كل حال نفر يسير لايعتد به . ومن المؤكد أن أغسطينوس لم يشك في وجود الله طيلة حياته إذ يقول « إن العالم نفسه بتغيره المنظم تنظيما عجيباً وبأشكاله البديعة يعلن في صمت أنه مصنوع » .

† ويرى أغسطينوس أن الفلسفة ما هي إلا وسيلة للسعادة ، والسعادة في موضوع ما لا تتحقق إلا بأمرين : الاول هو ثبات هذا الموضوع والثاني هو كماله . وهذين الأمرين لايتحققان إلا في الله ، علمنا بذلك أو لم نعلم ، إذ يقول « لقد صنعتنا لأجلك يا رب وإن قلبنا ليزال مضطرباً حتى يطمئن اليك » .

† والموعظة على الجبل ،التي هي خلاصة مبادىء الحياة المسيحية عرضها لنا القديس أغسطينوس في هذين الكتابين في تأملاته العميقة . لذلك فالكتاب بلغ عظمته وقوته لأنه يسجل تفسيراً لأخطر موضوع بقلم أعظم فيلسوف مسيحي .

† ولقد كتب كثيرون من مفسري الشرق والغرب في العصر الحاضر، في الموعظة على الجبل،ولكن كتابنا يحمل لوناً آخر من التفسير المصحوب بالتأمل والتعبد ، هو من كتابات الآباء .ولابد أنك سترى فارقا كبيراً بين كتاباتهم وكتاباتنا اليوم،وهذا يدعونا إلى اكتشاف عظمة الكنيسة التي تعيش على تراث آبائها وتقتفي آثارهم . وكما سجل أوغسطينوس نفسه من أن الكنيسة في آبائها

وقديسيها ، هى بالتأكيد الطريق الوحيد إلى التوبة والرجوع إلى المسيح .

أخيراً هذا الكتاب هو باكورة عمل عظيم قام به شماس كنيسة مار جرجس باسبورتنج لإحياء الكتاب الأرثوذكسى .

ولقد سجل المترجم بحثاً شاملا عن حياة القديس ، يعتبر فى ذاته كتيباً نافعاً لحياة التوبة والرجوع لله .

والله قادر أن يتعهد هذا العمل ، بالنمو فى حياة المترجم ، وبالبركة فى حياة القارىء آمين ؟

القس بيشوى كامل

الاسكندرية فى أول يناير ١٩٦٢

حياة اغسطينوس

« ثقى يا إمرأة أنه من المستحيل
أن يهلك إبن هذه الدموع » .

فى تاجست

فى ١٣ نوفمبر ٢٥٤ م بمدينــــة تاجست من أعمال توميديا بأفريقيا الشمالية ولد أغسطينوس ، وكان والده باتريكس وثنياً فظ الأخلاق شريراً لذلك لم يكن يهتم بحياة إبنه الروحية ولا بسلوكه الخلقى بل كانت آماله جميعاً تنصب فى رؤيته رجلا عظيما ذا جاه وغنى عظيم .

أما والدته مونيكا المسيحية فقد إحتملت شرور زوجها ووالدة زوجها ـ التى كانت تسمع لوشايات الخدم ـ بصبر عجيب دون أن تشكى لأحد منها ، بل على العكس كانت تلوم النساء اللواتى يشكين من أزواجهن ناصحة إياهن على طاعتهم ... وبذلك إستطاعت بصبرها أن تجذب حماتها اليها ، التى عرفت وشايات الخدم فعاقبتهم على ذلك ، أما زوجها فقد اكتسبته أيضاً إذ إعتنق المسيحية قبيل إنتقاله إلى السماء .

أما عن جهادها مع أولادها الثلاث فلسنا نعلم كثيراً عنه ،

إلا عن جهادها مع إبنها الأكبر « أغسطينوس » الذى يعتبر من كبار قديسى الكنيسة ومعلميها ومن أعظم فلاسفة العالم ، أما إبنتها التى لا نعرف إسمها فقد صارت رئيسة دير للراهبات ، وإبنها الآخر تفيجوس فقد صار أباً لأسـرة تقية خرج منها راهبتان تحت إرشاد عمتهما (١) .

هذبت مونيكا إبنها أغسطينوس وأرضعته لبن الإيمان ومبادئه وكما قال أن تعاليمها كانت راسخة فى ذهنه حتى فى أسوأ أحواله .

شب أغسطينوس فأدخله والده إلى المدرسة... وهناك إلتقى بمعلمين كانوا فى ذلك الوقت لا يهتمون بسلوك الإنسان وحياته ، حتى ولو أساء التلميذ فى حق زملائه وفى حق معلميه أنفسهم ، بل كانوا يهتمون بنبوغهم العلمى المجـرد ، لذلك تدهورت حالة أغسطينوس وساءت حياته وأخطأ فى حق زملائه ومعلميه ووالديه أما عن دراسته فكان رغم ذكائه محباً للعب ميالا إلى الكسل ، لذلك كانت توقع عليه عقوبات كثيرة ، مما جعلته يكره اللغة اليونانية التى كان يجبر على تعلمها ويحب اللاتينية التى تعلمها ممن حوله .

جاء عنه أنه مرض يوما فأرادوا عماده ، غير أنه شفى سريعاً

---

(١) عن مجلة مدارس الأحد السنة الخامسة عشر عدد ٤ .

فأرجأت والدته عماده [1] ولعل ذلك يكون خطأ منها أو لعلمها بشرور إبنها وإستهتاره بحياته ، خاصة وأن والده هو المشجع له على الشر .

لما بلغ أغسطينوس من العمر ستة عشر عاما أراد والده أن يرسله إلى قرطاجنة ليتمهر فى البيان،فأخذ يعد له ما يلزمه لسفره عاما كاملا ، فزج الفراغ بأغسطينوس إلى الإصطحاب بجماعة من الأشرار ، فإقتدى بهم وسلك على منوالهم ، حتى صار يفخر بالشرور وينسب إلى نفسه شروراً لم يرتكبها . ومما يرويه عن نفسه أنه إتفق مع شرزمة من أصدقائه على سرقة شجرة أجاص (كمثرى) ، وفى نصف الليل قادهم إليها وقطعوا منها ما قطعوا وهو يعلم بأن الكمثرى لم تنضج ولا تصلح إلا للخنازير ، كما يعلم أن بمنزله شجرة أجود منها ، لكن هدفه كان قيادة جماعةمن الناس إلى السرقة والتزعم عليهم .

حزنت مونيكا لما رأت إبنها ينجرف إلى هذه الهوة العميقة فأخذت تنصحه،أما هو فكان يزدرى بنصائحها إذ يقول فى إعترافاته « ولكن أمى التقية قد تكلمت،وصوتها على ما أرى صدى صوتك فإنها كانت تلح على بشديد التحريض لاعتزال الغوانى وكل أسباب الفجور . وأما أنا فما كنت أعيرها أذناً صاغية ، ولا إكترثت

---

(١) يبدو أن مرضه هذا والرغبة فى عماده كانت فى طفولته .

بأقوالها ، لأنها أقوال إمرأة ، حال كونها صادرة من لدنك ....»

فى قرطاجنة

أما فى قرطاجنة فقد وجد المجال الخصب لصنع الشرور ، فالتفت به الشريرات وأحب المسارح وصنع الشرور حتى فى المعابد المقدسة.

أما عن دراسته فقد عكف على دراسة الفقه والقوانين لعله يرتقى إلى القضاء أو المحاماه ، وإذ كان ممتازاً بين زملائه راح يتمايل تيهاً ودلالاً بخيلاء وعظمة... إلا أنه كان أكثر منهم تأدباً فلم يكن يلقى الشقاق بين زملائه مثلهم ، وقد تضلع فى اللاتينية حتى إفتتح مدرسة لتعليم البيان وهو فى سن التاسعة عشر .

أعجب أغسطينوس بمذهب شيشرون ، فقد قرأ كتاب « هورطانسيوس » [1] لشيشرون الذى ضاع فيما بعد ، فكاتبه يقرظ فيه الفلسفة ببلاغته المعهودة فيصورها مدرسة علم وفضيلة ووسيلة الحياة السعيدة ، مما جعل أغسطينوس يشتاق إلى حياة العفة وإلى البحث عن الحقيقة ، فبدأ يدرس الكتاب المقدس لعله يجد فيه ما يبغيه ، ولكن قرأه كما يقرأ أى كتاب فلسفى ظاناً أنه يستطيع بحكمته وعلمه أن يصل إلى الحقيقة . درس الكتاب فى كبرياء فأغلق الباب فى وجهه حتى ظنه دون كتب شيشرون ،

(١) عن تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط للاستاذ يوسف كرم .

فلم تعجبه لا تينية الكتاب (لأنه كان متشبعاً بالأدب اللاتيني) ولم تهزه مبادؤه السامية (إذ كان متعلقاً بملذات العالم وشهواته). فأدى كبرياؤه إلى ظلام قلبه وعقله حتى سقط فى المانوية ظاناً أنه قد وجد فيها العفة التى يبحث عنها والحقيقة التى يترجاها .

أما مونيكا فإذ رأت إنحراف إبنها الخلق وإنحرافه إلى بدعة مانى، وكيف أنه سرق نفوس كثيرة من حظيرة الإيمان ليبتدعوا مثله ، وذلك لعلمهم بأن أغسطينوس ليس بالشخص الذى يسهل جذبه إلى المانوية لو لم تكن معتقداتها سليمة ... لذلك طردته أمه من منزلها ، غير أن محبتها له جعلتها ترده إليها مرة أخرى... أما عن جهادها فقد سكبت دموعاً غزيرة فى صلوات حارة كل يوم من أجل خلاصه ... وإذ مرت أعوام كثيرة على هذا الجهاد رأت حلماً وهو إذ بها واقفة على قطعة من الخشب (ترمز للايمان) والكآبة تشملها ، وإذ بفتى يلمع بهاؤه أمامها ويشع الفرح من ملامح محياه ، نظر اليها وقال لها : ما بالك تبكين والغم لا يبرح من قلبك ؟ أجابته : إنى أبكى أسفاً على هلاك ولدى . قال لها : تعزى ولا تخافى ، فها ولدك هنا وهو معك. إلتفتت مونيكا فرأت إبنها واقفاً معها على الخشبة. فتأكدت مونيكا من إستجابة صلواتها.

ومن شغفها نحو خلاص إبنها كانت تطلب من رجال الله

الأتقياء أن يصلوا من أجل إبنها ، ومن هؤلاء أسقفاً جليلا كان يطمئنها قائلا « أتركيه كما يشاء ، فقط صلى إلى الله كثيراً من أجله إذ أنه من المحال إقناعه أنه شرير مع كونه من أعظم فصحاء العالم: أتركيه فسوف يقف على حالته بنفسه وسوف يلمس بنفسه نتيجة شروره : فقد كنت أنا يوما مانوياً ولم أكن أقرأ فقط كتبهم بل كتبتها بيدى ، ولكن عرفت أخيراً غباوتهم وتركتهم » . ورغم هذه الكلمات المشجعة كانت تذرف الدموع بغزارة أمامه قائلة « صل من أجل إبنى » . فقال لها تلك العبارة الوحيـــدة التى وجدت فيها عزاءاً ،لأنها وثقت أنها من قبل الله « **ثقى يا امرأة أنه من المستحيل ان يهلك ابن هذه الدموع** » .

فى وسط هذا الظلام الدامس كانت يد الله تصنع أموراً عجيبة فى حيـاة أغسطينوس ، فإذ كان له صـديق ملازم له دائماً ... فلا يفترقان عن بعضهما البعض ، إذ به يجذب صديقه إلى المانوية مما جعل والدته (مونيكا) تحزن على ذلك ، غير أنه لم ينقض عام تقريباً إلا ويد القدير قد ثقلت على الشاب صديقه فمرض مرضاً شديداً حتى شـارف على الموت فعمده أهله خشية موته ، أما أغسطينوس فلم يبال بالعماد حاسباً إياه مجرد غسل جسدى ، عالماً أن صديقه سرعان مايعود إلى المانوية بعد شفائه. وإذ شفى الصديق

جاه، أغسطينوس يهزأ بالعماد ، وكم كانت دهشته حين سمعه يقول « إن أردت أن تضع حداً فاصلا لصداقتي بك فكلمني في شأن المعمودية بالطريقة الهزلية التي كلمتني بها قبلا » . لم يجادله أغسطينوس منتظراً تمام شفائه . . . ولكن سرعان ما سمحت العناية الإلهية بإنتقاله مما أحزن أغسطينوس ... فكان نظره لا يهدأ قط بل يجول في كل مكان لعله يجد صديقه . . حتى كره كل شيء وإسودت الحياة في نظره وفقد كل تسلية وطاب له البكاء ... سئمت نفسه كل شيء حتى النور .. وبالجملة كره الحياة والموت .. فإلتجأ إلى إله أتباع ماني فإزدادت مشاكله ، وإضطربت حياته ...

بقي أغسطينوس في ظلام عقله تسع سنوات مخدوعاً بالمانويين ظاناً أنهم ينادون بالعفة التي طالما إشتاق إليها ، إذ كثيراً ما ترنم قائلاً « **يا رب اعطني الوداعة والعفة ولكن ليس الان** » ، إلا أنه بالبحث عرف بطلان معتقداتهم ، فإلتقى برئيسهم فوستوس الذي كان يميل إلى الحديث إلى الجماعات فيستأثر قلوبهم ببلاغته وحلاوة حديثه لأنه كان مطلعاً على مؤلفات شيشرون وسينكا والشعراء . أخذ يسأله فوجده فارغاً لا يستطيع أن يجيبه على أسئلته ، وبذلك بدأ يكتشف خداع المانوية ، ومع ذلك فلم يعد بعد مسيحياً مؤمناً إيماناً مستقيماً بل متردداً في آرائه منجذباً نحو الشهوات .

فى روما

فى عام ٣٨٢م أوعز أصدقاؤه إليه بالسفر إلى روما لينال مجداً وغنى أعظم ، فلما شعرت والدته بهذا حاولت أن تصده عن ذلك فلم يرتد عن قصده ، فعزمت على السفر معه (إذ كان زوجها قد توفى عام ٣٧١ م) . أما هو فقد إحتال عليها بقوله لها أنه ذاهب لتوديع صديق له على السفينة ، وأنه لا يمكن مفارقته حتى تبحر السفينة .. وبالجهد رضيت أن يبقيا معاً تلك الليلة فى مكان قريب من السفينة بالقرب من كنيسة القديس كبريانوس . وفى الليل ذهبت للصلاة من أجله فى الكنيسة ففر مسرعاً إلى السفينة وسافر تاركاً إياها تبكى من أجله .

وفى روما مرض مرضاً خطيراً أوشك فيه على الموت لولا عناية الله وصلوات أمه لأجله . فشفى من مرضه دون أن تشفى روحه .

قيل عنه أنه نزل فى روما ضيفاً عند أحد المانويين المعتقدين بجبرية الخطية وعدم التوبة عنها مما جعله يحتقر المانوية ويزدرى بها .

فى ميلان

أرسل حاكم ميلان يطلب من حاكم مدينة روما أستاذاً للبيان فأرسل له أغسطينوس . وهناك دبرت له العناية الإلهية الإلتقاء بأسقف المدينة القديس أمبروسيوس (أمبروز) ، الذى شمله بعطفه

وحنانه حتى أحبه أغسطينوس كما أعجب بعظاته فكان مداوماً على سماعها لما فيها من قوة البيان ، دون أن يهتم بما إحتوته من معان جليلة وغذاء دسم للروح . لكن سرعان ما بدأ النور ينبعث وتتجلى المعانى أمامه إذ أعجب أغسطينوس من تفسير الاسقف للعهد القديم (الذى يحتقره المانويين) بطريقة روحية رائعة كما كان يسمع ردوده على أتباع مانى وغيرهم من المبتدعة ... فانكشفت أضاليل المانوية أمام أغسطينوس ووضح خداعها له فقطعها بعد أن قضى تسعة أعواماً سماعاً فيها [1] . ويذكر الاستاذ يوسف كرم أن القديس أغسطينوس لم يعرف أين يتوجه إذ كان مضطرباً بحجج الشكاك بسبب ما كان قد قرأه فى كتاب « المقالات الاكاديمية » لشيشرون فوقع فى أزمة . غير أن شكه لم يتناول وجود الله أو عنايته بالخليقة ... **فعاد ونظر الى الكنيسة التى وجد فيها اربعة علامات تدل عل أنها من الله ، هى أن فيها تتحقق نبوات العهد القديم ، وفيها يتصل الكمال الروحى ، وتصنع المعجزات ، وقد انتشرت رغم ما لاقته من عنت شديد** . فإعتقد أن النجاة فى الكنيسة ، غير أن اعتقاده هذا لم يبدد شكوكه بل كان متردداً

---

(١) السماعون فى المانوية هم معتقدو المذهب غير العاملين به ، أما الصديقون أو المختارون فهم أتباعه الأوفياء علماً وعملا .

فى إمكان اليقين وحل المشكلات الأكاديمية .

نعود إلى مونيكا التى سمعت بسفره إلى ميلان فقامت تخوض البحار وتجوب القفار مسرعة إلى ميلان لتحيا مع إبنها لعلها تستطيع بنعمة الله أن تهديه إلى الحياة . . . ويذكر أغسطينوس عنها أنه بينما كانت آتية إليه هبت عاصفة شديدة فى البحر فلم تضطرب مع أنه لم يسبق لها أن ركبت سفينة ، بل كانت تشجع ربان السفينة والبحارة .

قابلها أغسطينوس بذلك الخبر السار ألا وهو تركه المانوية تماماً غير أنه لم يؤمن بعد بالإيمان المسيحى المستقيم ... فالتفتت إليه بهدوء وقالت : إن لى رجاء بالمسيح بأن قبل مفارقتى هذه الأرض أراك مؤمناً ، وأخذت تحثه على معاشرة الأسقف وإستماع عظاته ونصائحه . كل هذا ودموعها لم تنضب بعد لأجل توبته ورجوعه ، لأنه إلى ذلك الحين لم يكن مؤمناً بالمبادىء المستقيمة بل كان منجذباً بالشهوات حتى كان **يقول أن حفظ العفة يعتبر يعتبر أمرا مستحيلا .**

بدأ أغسطينوس يقرأ بعض كتب الأفلاطونيين المنقولة من اليونانية بواسطة فيكتريانوس ، التى استفاد منها الكثير ، على أنها لم تقوده إلى المسيحية بل كان قد آمن بالمسيحية (عقلياً)

وقد أفادته هذه الكتابات فى حل مشكلات عقلية ، كانت تحول بينه وبين فهم المسيحية . ويعلل الاستاذ يوسف كرم ذلك بأن أغسطينوس فرح بالفلسفة الافلاطونية لانه ظن أن فيها العقائد المسيحية الكبرى رغم عدم وجود هذه العقائد فيها ... مما يدل على أنه كان قد آمن بالمسيحية قبل قراءته لهذه الكتابات .

عاد أغسطينوس إلى الكتاب المقدس مرة أخرى وبخاصة رسائل بولس الرسول التى أعجب منها كل العجب كما أعجب بتوفيقها بين العهد القديم والجديد . قرأ الكتاب المقدس فى هذه المرة فرأى ما لم يره قبلا عند قراءته الأولى ولا فى كتب الفلاسفة ، **رأى مخلصا جاء ليمحو كل اثامنا ورأى النعمة الالهية تعيننا على فعل الخير والانتصار على الشر .**

دبرت العناية الإلهية أن يزور سمبليانس حيث بدأ يخبره عن قراءته فى كتب الفلسفة الأفلاطونية التى عنى بنشرها فيكتريانوس (١) فأظهر له سمبليانس سروره من مطالعته لهذه الكتب... ثم أخبره عن إعتناق فيكتريانوس للمسيحية وسلوكه فى حياة الفضيلة . فلما

---

(١) فيكتوريانوس هذا هو معلم البيان فى روما ، ذاعت شهرته حتى نصب له تمثالا فى روما . وقد ترجم بعض كتابات أرسطو وبعض رسائل افلوطين كما ترجم بعض كتابات الافلاطونيين الجدد ... وقد اعتنق المسيحية وألف كتب لاهوتية عديدة .

سمع ذلك شبت فيه نيران الغيرة راغباً فى الإقتداء به ، غير أنه كان لازال أسيراً للعادات الشريرة المرة .

توبتـه

ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء ... ما أعجب تدبيره وأعظم محبتـه ... فقد هيـأ لإبن مونيكا التى لم تكف عن الصـلاة بدموع ليلا ونهاراً حوالى ٢٠ عاماً لأجـل رجوعه وتوبته ... هيأ له أن يستعد قلبه للتوبة الحقيقية .

فسمح له بأن تعلمه أمه بذور الإيمان التى رسخت فى ذهنه حتى فى أسوأ أحواله ...

وسمح له بموت صديقه الشاب ليحتقر أمور هذا العـــالم ويبحث عن الحياة الفضلى .

وسمح له بإحتقاره للمانوية بسماعه فستوس رئيسهم وإستضافته لدى ذلك الشخص الذى يؤمن بجبرية الخطية وعدم التوبة عنها .

وسمح له بالذهاب إلى ميـلان ليلتقى بأمبروسيوس أسقفهـا فيعجب بعظاته ...

وسمح له بالإلتقاء بسمبليانس ليخبره عن إعتناق فيكتريانوس الوثنى بالمسيحية ليشتاق هو أيضاً إلى الإيمان المستقيم .

أما توبته فكانت عجيبة ... فقد كان له صديق حميم يدعى أليبوس وإذ كانا معاً ومعهما كتاب رسائل بولس الرسول إذا برجل من كبار رجال الدولة ، من المؤمنين الحقيقيين ، يدعى بنسيانس يدخل عليهما . رأى ذلك الشريف كتاب رسائل بولس الرسول فظنه أحد كتب الفلسفة إلا أن أغسطينوس أخبره أنه من مدة لم يشغله شيء سوى مطالعة هذه الأسفار ... فدار الحديث بينهما إلى أن أخبره عن خبر القديس أنطونيوس المصرى ورهبنته وكيف أن اثنين من أشراف البلاط تركا كل شيء وسارا على منواله بعد قراءتهما سيرته [1] . فلما مضى الصديق بنسيانس جال بفكره كيف أنه بحث عن الحكمة طوال هذه السنوات ولم يستطع إقتناءها ... وتواردت أمام عينيه حياته جميعها بما فيها من صور مخزية فلم يجد مفراً سوى الالتجاء إلى الله ... وعندئذ نظر إلى أليبوس وصرخ إليه .

ماذا نعمل نحن ؟

ما هذه الأحوال ؟ أما سمعت ؟ أتشب النهضة بالسذج الأميين فيتسارعون لاختطاف ملكوت السموات ، ونحن معشر

---

(١) وهى السيرة التى كتبها القديس أثناسيوس الرسولى ... وهى معربة وقد طبعتها جمعية أصدقاء الكتاب المقدس .

العلماء الحكماء نتمرغ فى وحول النجاسة والرجاسة ؟! حقاً صدق الكتاب أن العرج نهبوا نهباً [1]. ولماذا يأخذنا الحياء من اللحاق بهم، لأنهم تقدمونا، ولا يأخذنا الخجل لعدم إقتدائنا بهم ؟!

وإذ قال هذا وجد نفسه يندفع إلى بستان بجاور لمنزله بدون شعور، حتى تعجب أليبوس مما بدا على ملامح وجهه ومن تلك الثورة التى اجتاحت قلبه ... ذهب إلى البستان فلحق به أليبوس ... وهنا بدأ الصراع بين الماضى والرغبة الجديدة ... تمثلت أمامه شروره وقبائحه وصارت فيه عاصفة عاتية وتفجرت ينابيع الدموع من عينيه ... فإنفرد عن أليبوس لأن الانفراد أوفق للبكاء .

غلب أغسطينوس على أمره فإرتمى على جذع شجرة تين ، وإذ زاد الصراع قال « عاصفة شديدة ... دافع عنى » ثم نطق فى حزن عميق « وأنت يا رب فحتى متى [2] ؟ إلى متى يا رب ؟ أتغضب إلى الأبد ؟ لا تذكر علينا ذنوب الأولين [3]. فإننى أشعر بأننى قد أستعبدت لها . إلى متى ... إلى متى ؟ أإلى الغد ؟ ولما لا يكون الآن ؟ لما لا تكون هذه الساعة حداً فاصلا لنجاستى ؟ » .
وبكى بعد ذلك بحزن عميق وإذ به يسمع صوت ترتيل طفل -

---

(١) أش ٣٣:٢٣ .   (٢) مز ٦ : ٣ .
(٣) أنظر مز ٧٩ : ٥ ، ٨ .

لا يعلم إن كان ولداً أو بنتاً - جاءه من منزل مجاور مردداً مراراً « خذ وإقرأ - خذ وإقـــرأ » . تذكر أغسطينوس كيف أن أنطونيوس قبل كلمات الكتاب المقدس التى سمعها فى الكنيسة على أنها موجهة إليه شخصياً إذ سمع « فأذهب وبع أملاكك وإعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال إتبعنى[1] » توجه للحال إلى حيث ترك رسائل القديس بولس وفتحها وقرأ وإذ به يجد لا تسلكوا طريق الشراهة والسكر والفواحش بل إلبسوا الرب يسوع المسيح ولا تهتموا بشهوات أجسادكم[2] » .

كان ذلك فى عام ٣٨٦ م بالغاً من العمر إثنان وثلاثون عاما حيث تغيرت حياته وتجددت بنعمة الله... فتحولت القوة المحترقة شراً إلى قوة تلتهب حباً ... أضاء النور على عقله وقلبه فبدد ظلمتها ... وأحس القديس بذلك فقال « قد نظرت إلىّ يا رب بعين رحمتك ولما رأيت نفسى على شقاء دائم طهرتها بنعمتك وإستأصلت منها إنعطافها الدنس . فما أعمق الهوة التى إنتشلتنى منها فى لحظة من الزمن ، وما أسعد هذه اللحظة التى حنيت فيها عنق لنير شريعتك . وكم فرحت نفسى فى ترك كل ما كانت تميل اليه شهوتى » .

---

(١) مت ١٩ : ٢١ .

(٢) رو ١٣ : ١٣ ، ١٤ .

عاد أغسطينوس إلى أليبوس الذى أخبره بعزمه على التوبة مثله ، فذهب كلاهما يخبران تلك الأم التى جاهدت ما يقرب من ٢٠ عاماً من أجل هذه اللحظة ... لا أدرى يا أخى كيف أعبر لك عن فرحة تلك الأم التى كلما إشتاقت إلى تلك اللحظة ولو كانت على فراش الموت ... ولو باعت كل ما لديها وتحملت كل ضيق وألم . يا لفرحتها ويا لسرورها عند سماعها بتوبتهما ... لقد عاد الضال إلى أبيه ورجعت النفس لتستريح فى أحضان النعمة الأبوية ... عاش إبنها بعد أن مات وصار وارثاً معها فى الحياة الأبدية ... أى شىء تطلبه بعد ذلك ؟ ؟ !

هذه فرحة الأم التى جاهدت سنوات من أجل إبنها ، أما فرحة الآب السماوى يسوع الذى تنازل وأخذ صورة عبد وصار مثلنا فى كل شىء ما عدا الخطية ومات موت الصليب ... فرحته عند رجوع أولاده إليه لا تقدر .

عزم أغسطينوس بنعمة الله على ترك تدريس البيان وعدم الزواج وتكريس بقية حياته لله وتفرغ كل وقته للتأمل فى الوصايا الإلهية وخدمة الله ، فإعتزل هو ووالدته وصديقه أليبوس وإبنه اديانس وبعض أبناء عمه وبعض أصدقائه فى كاسيكاسيوم Cassiciacum بجوار ميلان حيث أقام ستة شهور

ليتأهب لنوال سر العماد . وقد كتب إلى القديس أمبروسيوس يبشره بالخبر طالباً منه إرشاداً .

وفى إبتداء صوم الاربعين سنة ٣٨٧ م ذهب إلى ميلان واعتمد على يد الأسقف أمبروسيوس ، هو وصديقه أليبوس وإبنه اديأتس .

نياحة مونيكا

سافر القديس أغسطينوس مع ابنه ووالدته وأخيه وأليبوس إلى أوستيا منتظرين السفينة للعودة إلى وطنهم ... وفى أوستيا كان القديس يتأمل مع والدته فى ملكوت السموات ومجازاة المؤمنين وسعادتهم حتى شعر بأنه قد لمس السماويات ناسياً الأرضيات ... وقد قالت له أمه « يا إبنى !!! لا شىء يسعدنى فى الحياة ثانية . ماذا أعمل ؟ ولماذا أبقى ؟! لا أعرف ... لأننى كرهت الحياة . وأنا أعتقد أن الله قد أمد من أجلى لسبب واحد وهو أن أراك مؤمناً مخلصاً ومسيحياً بالحق قبل أن أموت، والله الغنى أبقانى لأراك خادمه الامين تحتقر الماديات ... وما هو عملى أو بقائى بعد ذلك ؟ » .

وبعد خمسة أيام مرضت مونيكا بحمى شديدة وأغمى عليها ، ولما أفاقت وجدت إبنيها بجوارها وهما فى منتهى الحزن والألم،

فقالت لهما « أين كنت أنا ؟ ... هنا تدفنان والدتكما » مع أنها كانت قد أعدت مقبرتها فى أفريقيا لتدفن بجوار زوجها ، غير أن هذه الرغبة كانت قد زالت عنها .

أظهر تافيجوس أنه يطلب من الله أن يكون إنتقالها فى بلدها أما هى فإذ لم تهتم بدفن جســـدها قالت لأغسطينوس « أنظر يا أغسطينوس ما يقول أخوك تافيجوس » . ثم أوصتهما الوصية الأخيرة « **يا بنى لا تحفلا أبدا بأمر جسدى ، بل ادفناه حيث كان ، فذلك ليس له عندى اهمية . لكن اسألكما شيئا واحـدا وهو اينما كنتما أذكرا والدتكما على مذبح الرب** » قالت هـذا وفاضت روحها الطاهرة إلى خالقها وهى فى السادسة والخمسين من عمرها وكان أغسطينوس فى الثالثة والثلاثين من عمره .

حزن أغسطينوس جـداً لإنتقال والدته ، فكانت دموعه تجرى رغم إرادته ... وإذ حاول أن يمنع دموعه لعلمه بأن هذا خطأ إذ لا يليق الحزن على مفارقة الجسد ، لم يستطع ذلك ... أخيراً قال لنفسه « ألا يجب أن أسلم نفسى للدموع ساعة لأجل تلك التى لأجلى كانت تعوم فراشها كل يوم بالدموع ساعات » .

فى روما وافريقيا

بعد نياحة القديسة قرروا العودة إلى روما ، حيث سعى

أغسطينوس إلى دحض بدعة مانى ورد أتباعه إلى حظيرة الإيمان... ثم عاد بعد ذلك إلى أفريقيا حيث ذهب إلى قرطاجنة ثم إلى تاجست ، فوزع كل ممتلكاته و إختلى مع بعض أصدقائه ثلاث سنين منقطعاً فيها للصلاة والصوم والتأمل فى شريعة الله ليلا ونهاراً ، وتأليف كتب كثيرة .

رسامته كاهنا

وفى أثناء ذلك طلب رجل شريف من مدينة هيبو (تدعى حالياً إيبونا من أعمال نوميديا) أن يزوره ، ولما كان فاليريوس أسقف المدينة يطلب رجلا يتوسم فيه العلم والقداسة ليكون كاهناً مساعداً له لذلك جمع الشعب وأخبره بقدوم أغسطينوس ورغبته فى رسامته كاهناً فقبل الشعب مشورة أسقفه ، وإذ دخل القديس يوما إلى الكنيسة لحضور القداس الإلهى أمسكه الشعب لرسامته . رفض القديس بدموع طالباً إعفائه من هذا المنصب الخطير ، إلا أنه تحت إلحاح الشعب علم أن الرب قد إختاره ، فرسم كاهناً .

سكن فى بستان ملك للكنيسة وجعله ديراً حيث إمتلأ بالرهبان الأتقياء ، فوضع لهم قوانين يسلكون عليها ، كما أنشأ ديراً للراهبات تحت رئاسة أخته .

لما عرف الأسقف بعلم القديس كلفه بالوعظ حتى أثناء حضرته فإمتنع أولا ثم رضخ بعد ذلك ... فأخذ يعظ الشعب ، وكان يتعطش لسماع كلمات النعمة الخارجة من فمه بالرغم من أنه كان يعظ فى أكثر الأيام .

وقد ذكر صديقه بوسيديوس الذى أرخ له أنه كان يخرج الشياطين بالصلاة ...

تنصيبه أسقفا

طعن فاليروس فى السن فأقام أغسطينوس أسقفاً مساعداً له عام ٣٩٥ م برضى أوريليوس أسقف قرطاجنة وبقية أساقفة الإقليم ، فإنتاب الشعب موجة من الفرح والتهليل ، وإن كان الهراطقة قد حزنوا جداً لذلك ، مما جعلهم يحركون قوما يدعون سمرقسلبوس أى طوافوا البيوت لقتل المسيحيين بالسيوف ، كما حاولوا قتل القديس لولا عناية الله التى حفظته من أيديهم .

إمتاز الأسقف أغسطينوس بإتضاعه العجيب وحرصه التام على عفته ومحبته للفقراء والمحتاجين فكان يوزع كل ما لديه وما بالكنيسة حتى كان يبيع أوانى الكنيسة المقدسة لأجل حاجاتهم ، وإذ لم يكن يجد شيئاً كان يقول لأصحاب الشأن فى الدولة « إنه لم يبق شىء لأتصدق به على المساكين فأعطوهم أنتم الآن أو إعطونى

فأعطيهم أنا ، كما كان يجمع ليفى عن المسجونين ويخلصهم .

أما عن محاربته للبدع فكان عجيباً ، فقد أعاد الكثيرين إلى حظيرة الإيمان كما كتب كتباً كثيرة للرد على الهراطقة : وفى عام ٤٢١ م أمر الملك أونوريوس بعقد مجمع يحضره الدوناتيون والمسيحيون فحضر ٢٧٥ أسقفاً مؤمناً و ٢٧٩ من أساقفة الدوناتيين وحضر الجدال مرسلينوس نائباً عن الملك ، فقام القديس وجادلهم ورد الكثيرين إلى الايمان المستقيم .

نياحته

إذ بلغ من العمر ٧٢ عاماً رأى أن قوته قد خارت فإستعان بأحد الكهنة فى تدبير شئون الكنيسة راغباً فى أن يكون خليفته ، وقد بقى أربعة أعوام يستعد للانتقال ، وبينما هو على هذه الحال إذ بعسكر الواندليين الشريرين حاصروا المدينة ، فصلى القديس إلى الله أن ينقذ شعبه أو يعطه صبراً على رؤيته شقاء الشعب أو يسمح فينقله إليه : وفى الشهر الثالث من الحصار سنة ٤٣٠ م (وقد بلغ من العمر ٧٦ عاماً) سمحت العناية الإلهية بمرضه حتى عرف أنه أوشك على الانتقال فتناول من الأسرار الإلهية كما طلب أن تكتب مزامير التوبة على الحائط المجاور لسريره فكان يقرأها ودموعه تسيل كالمطر... وبينما هو على هذه الحال إنتقلت

روحه إلى خالقها ... لقد جاءت الساعة التى طالما إشتاق إليها إذ كتب فى تأملاته (His Meditations) «آه ما أعجب وما أجمل وما أحلى السكنى فى منزلك ، أيها الرب القدير ! إننى ألتهب شوقا إلى نوال جمالك فى مكان العرس ... يا أورشليم ، يا مدينة الله المقدسة ، عروس المسيح العزيزة إن قلبي يحبك ، إن روحى تتلهف شـوقا لأجل جمالك ! ... ملك الملوك نفسه فى وسطك وأطفالك فى داخل جدرانك. هناك جوقة المسيحيين من الملائكة زملاء المواطنين السمائيين . هناك وليمة العرس المعدة لجميع الذين يبلغون مباهجك بعد هذه الرحلة الأرضية المحزنة . هناك جوقات الأنبياء بعيدوا النظر . هناك صحبة الاثنى عشر رسولا ، هناك الجيش المنتصر من الشهداء الذين لا حصـر لهم والمعترفين [1] القديسين. المحبة الكاملة تملك هناك لأن الله يكون الكل فى الكل. يحبون ويسبحون ، يرتلون له ويحبونه إلى الأبد ... طوبى لى أنا أيضاً تطويباً كاملا أبدياً ، متى إنحل جسدى الفقير ... قد اقف أمام ملـكى وإلهى وأراه فى مجده ، لأنه بنفسه تنازل ووعد «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين اعطيتنى يكونون معى حيث أكون

---

(١) المعترف هو الشخص الذى أصابه ضرر جسمانى فى الاضطهاد دون أن يلتقـل .

أنا لينظروا مجدى الذى اعطيتنى لانك احببتنى قبل إنشاء العالم » يو ١٧ : ٢٤ [١] .

لم يترك أغسطينوس ميراثاً ، لأن ميراثه كان سماوياً ، غير أنه ترك مكتبة ، وهبها للكنيسة وقد حفظها الله من يد البرابرة الأريوسيين .

بعد نياحته أخذ الونداليين هيبو وخربوها ... إلا أنهم لم يستطيعوا تخريب أعماله ، حيث بذرت أفكاره فى بقاع العالم واتت بثمار كثيرة حتى فى تلك البلاد التى لم يسمع هو عنها .

كتاباته

إمتاز قديسنا العظيم بكتاباته الكثيرة ، وبعمق هذه الكتابات وبخاصة تلك التى بعد تجديده . وله رسائل عديدة وجهها إلى أشخاص من طبقات متباينة ، يتحدث فيها عن أمور متفرقة مثل نهاية العالم والصلاة على الموتى والشهداء والتبرك منهم وقد بلغت كتاباته حوالى ٢٣٢ كتاباً أهمها : ـ

اولا : كتبه التاريخية (تاريخ حياته)

من هذه الكتب «إعترافاته» وهى تحتوى ١٣ كتاباً (فصلا)

---

(١) مترجمة عن مجموعة كتابات آباء نيقية وما بعد نيقية ... التى جمعتها ونسقتها من أماكن متفرقة .

كتبها سنة ٣٩٧ م أى بعد توبته بعشرة أعـوام وهى من أروع ما كتب ... وقد كان هدفه منهـا أن لا ينتفخ ويتكبر بسبب ما بلغه من شهرة فائقة ... إذ جاء فى إعترافاته بشرور صبـــاه وزيغانه عن الحق وعمل النعمة فيه .

وقبـــل وفاته بثلاث سنـــوات (سنة ٤٢٧ م) كتب «الاستدراكات» فيها يأسف على إسرافه فى الثناء على الأفلاطونيين وينسحب عن أخطائه النظرية ... وهى خير شاهد لمحبته العجيبة للحق ولاتضاعه .

ثانيا : مقالاته الفلسفية

كتب جميعها فى بداية حياته فى كاسيكيا كوم قبل عماده أو عند عودته إلى روما أو بمجرد عودته إلى أفريقيا . فـكتب سنة ٣٨٦ م « الرد على الأكاديميين » معالجاً فيها مسألة اليقين (عدم الشك) ، « والحياة السعيدة » التى قال عنها شيشرون أنها غاية الفلسفة ، وفى ٣٨٧ كتب فى « خلود النفس » و ٣٨٧ - ٣٨٩ م كتب فى الموسيقى ٨ كتب ، ٣٨٩ كتب De Magistre فى محاورة مع إبنه الذى مات عقب عودته إلى أفريقيا موضحاً أهمية كلمة الله وصلاحـــه ، كما يوضح المسيح كسيد منزه عن الخطأ ، وكتب فلسفية أخرى كثيرة فقد بعضها .

ثالثا : أعماله الجدلية ضد اليهود والوثنيين

وهى من أروع كتاباته وتدعى « مدينة الله » وفيها رد على المعتقدين بأن آلهة الوثنيين غضبى لإنتشار المسيحية مما جعلها تتخلى عن مدينتها (روما) وتنهزم من البرابرة . وقد بدأ فى كتابته سنة ٤١٣ م حتى سنة ٤٢٦ م . وقد إحتوى على ٢٢ كتاباً (مقالة) منها ١٠ مقالات ضد الوثنيـــة و ١٢ مقالة للتاريخ العـام ومغزاه .

رابعا : كتاباته اللاهوتية (ضد أتباع مانى)

منها « فائدة الثقة » سنة ٣٩٢ م ، الإيمان والمبادىء المسيحية سنة ٣٩٣ م ، أربعة كتب عن التعليم المسيحى سنة ٣٩٧ (اضيف الكتاب الرابع سنة ٤٢٦ م) . وكتب سنة ٤٠٠ م عن التعاليم الاساسية و ٤٢١ عن الايمان والرجاء والمحبة ...

خامسا : مباحثاته الجدلية واللاهوتية

١ـ ضد أتباع مانى : أهمها كتاب فى مبادئهم سنة ٣٨٨ م ، فائدة الثقة سنة ٣٩٢ م ، فى الروحيين (ضد أديمانتس) سنة ٣٩٢ م ، وضد رسـالة الأسـاس سنة ٣٩٧ م ، و ٢٣ كتابا ضد فستوس (رئيسهم) وكتابين ضد فيلكس وكتابا عن طبيعة الله وكتابا ضد سيكيندس وآخر ضد فورتوناتس .

٢- ضد الدوناتيين : كتب ضدهم سنة ٣٩٢ م ، ورسالة ضد دوناتس سنة ٤٠٠ م ، وضد بارمينيان ، وسبعة كتب عن المعمودية و ٣ كتب ضد رسالة بتيليان ، وفى سنة ٤٠٢ م كتب فى اتحاد الكنائس، وفى سنة٤٠٦ كتب ٤كتب ضدكريسكونيوس وكتاباً عن المعمودية الواحدة ، وفى سنة ٤١١ م كتب ٣ كتب عن المجمع الذى عقده الدوناتيين ، وفى سنة ٤٢٠ كتاباً ضد قودانتياس .

٣- ضد البيلاجيين : كتب سنة٤١٢م عن الخطيئة وغفرانها وعماد الأطفال ، وفى سنة ٤١٣ م عن الروح والحرف ، وفى سنة ٤١٥ م عن الطبيعة والنعمة،وفى سنة ٤١٧ م كتابا عن أعمال بيلاجيوس وآخر عن وجود الله ،وفى سنة ٤١٨عن نعمة المسيح والخطيئة الأصلية ، وفى سنة ٤١٩ عن الزواج وفى سنة ٤٢٢ كتب كتاباً إلى فالنتيوس وسنة ٤٢٦ كتب عن النعمة وحرية الادارة ، وفى سنة ٤٢٧ كتب ضد الغيب ، وفى سنة ٤٢٩ كتابا عن نعمة المثابرة وكتاباً ضد بيلاجيوس وكوميستوس وكتابا عن أعمال إيميرتيوس .

٤- كتب أيضاً ضد الوثنيين .

كتب عن الكذب ، وفى ٣٩٥ م عن الاكتفاء ، وفى ٣٩٦م عن المسابقات المسيحية وكتابا عن البتولية ، وفى سنة ٤٠٠م عن عمل الرهبان (ضد كسل الرهبان) وكتب أخرى كثيرة (أنظر مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية)[1].

الحوادث الرئيسية فى حياة
أغسطينوس[2]

٣٥٤م	ولد أغسطينوس فى تاجست فى ١٣ نوفمبر ـ رغب فى عماده بعد فترة قصيرة .
٣٧٠م	عاد إلى منزله بعد دراسته البيان وذلك بعد طفولة إمتازت بالكسل ـ سقوطه فى الدعارة والخطيئة .
٣٧١م	مات والده باتريكس ـ ذهابه إلى قرطاجنة مع والدته وصديقه رومانيوس ـ أنشأ علاقات غير شرعية .

(١) منها كتاب عن العفة أو ضبط النفس *Continence* وقد ترجم وطبع سنة ١٩٦٨ .

(٢) مترجمة بتصرف عن مجموعة كتابات آباء نيقية وما بعد نيقية . وهى مأخوذة من الطبعة البندكتية .

٣٧٢ م	ولد إبنه أديوداتوس « Adeodatus »
٣٧٣ م	قراءته لكتاب شيشرون التى أيقظت فيه الرغبة القوية نحو الحكمة الحقيقية .
٣٧٤ م	سقوطه فى بدعة مانى وبكاء أمه عليه .
٣٧٦ م	تعلم النحو فى تاجست إلا أنه عاد للحال إلى قرطاجنة يدرس البيان . فوزه بجائزة خاصة بالبيان .
٣٧٩ م	رجوعه عن دراسة التنجيم - كتب كتابه *De pulchro et apto*
٣٨٢ م	إكتشافه ضلال المانوية ... سقوطه فى الشهوات - ذهابه إلى روما لتعليم البيان .
٣٨٥ م	ذهابه إلى ميلان - إزالة أخطاءه تدريجياً بواسطة الأسقف أمبروسيوس .
٣٨٦ م	دراسته رسائل بولس الرسول - رجوعه وتوبته - تركه مهنته وإعتزاله - كتاب « رداً على الاكاديميين » إستعداده للعماد .
٣٨٧ م	عماده هو وإبنه أديوداتس بواسطة الأسقف أمبروسيوس . نياحة والدته فى سن ال ٥٦ عاماً فى ميناء أوستيا .

٣٨٨ م	عودته إلى روما ثم ذهابه إلى أفريقيا ـ موت إبنه.
٣٩١ م	رسامته كاهنـــاً بمدينة هيبو رغم إرادته بواسطة أسقفها فاليروس .
٣٩٢ م	كتب ضد أتباع مانى .
٣٩٤ م	كتب ضد الدوناتيين .
٣٩٥ م	تنصيبه أسقفاً مساعداً لفاليروس (فى نهاية العام)
٣٩٦ م	نياحة الأسقف فاليروس .
٣٩٧ م	كتابته « الاعترافات » .
٣٩٨ م	كان حاضراً المجمع الرابع بقرطاجنة .
٤٠٢ م	دحضه رسالة بتيليانوس الدوناتى .
٤٠٤ م	إلتماسه من كاسليانوس الحماية من قسوة الدوناتيين
٤٠٨ م	كتب " *De urbis Romæ obsidione* "
٤١١ م	موقفه الرائع من مناقشة الأساقفة المسيحيين للدوناتيين
٤١٣ م	بدأ فى كتابة كتابه الرائع « مدينة الله » التى أكملها سنة ٤٢٦ م .
٤٢٦ م	تنصيب هيراقليوس خلفاً له .
٤٢٨ م	كتب « الإستدراكات » يصحح فيها أخطاءه الماضية
٤٣٩ م	تنيح فى ٢٨ أغسطس فى الشهر الثالث من حصار الفنداليين لهيبو .

المراجع

1- *The Confessions of St. Augustin*
عن مجموعه «كتابات آباء نيقية وما بعد نيقية»

2- *Schaff,s Church - History*

3- *The writings of Nicien & Post - Niciene Fathers.*

٤ - إعترافات القديس أغسطينوس مراجعة الأب برسوم الفرنسيسكانى سنة ١٩٥٧ م.

٥ - قطف الأزهار من مروج الأخيار جزء ٢ .

٦ - سيرة القديس أوغسطينوس . . لمعى شفيق هورى .

٧ - تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط للأستاذ يوسف كرم .

الموعظة على الجبل

الكتاب الأول

شرح الجزء الأول من العظة كما ورد فى الإصحاح الخامس

من إنجيل متى

الفصل الأول

١

مقدمة عامة على التطويبات

لو تأمل إنسان بتقوى وورع فى العظة التى قالها ربنا يسوع المسيح على الجبل، كما جاءت فى إنجيل متى، لوجد فيها كل المبادىء السامية اللازمة للحياة المسيحية الكاملة .

وبقولنا هذا لا نكون مغالين ، بل نستكشف هذا الأمر من كلمات الرب نفسه ، فالعظة كاملة من حيث شمولها جميع الوصايا التى توجه الحياة . لهذا قال الرب « فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل . فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً »[٢] . إذ لم يقل الرب « من يسمع أقوالى » فقط ، بل أضاف « من يسمع أقوالى هذه » ، لذلك أظن أنه قد أشار بما

(١) هذه العناوين الجانبية أضيفت فى الترجمة لمجرد التقسيم والتوضيح .

(٢) مت ٧ : ٢٤ ـ ٢٧ .

فيه الكفاية إلى أن هذه العظة التى نطق بها على الجبل تقود الراغبين فى السلوك بموجبها إلى حياة الكمال ، حتى يشبهون بحق بذلك الذى بنى على الصخر .

لقد قلت هذا لمجرد إظهار كمال العظة الواضحة أمامنا ، فى وصاياها التى تشكل حياة المسيحى، لأننا سنعالج هذا الفصل بعناية أوفر فيما بعد .

٢

لقد إفتتح متى الموعظة كما يلى :

ولما راى الجموع صعد الى الجبل . فلما جلس تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلا .

لو سئلنا ماذا يعنى بالجبل ، فحسننا نفهم أنه يقصد وصايا البر العظيمة. لأن هناك وصايا أقل [١] أعطيت لليهود . ومع هذا فهو

---

(١) يتكلم أغسطينوس عن وصايا العهد القديم على أنها وصايا أقل ، ليس بمعنى أنها غير إلهية أو معيبة ، بل لأنها تكمل بوصايا العهد الجديد التى جاءت مكملة لا ناقضة لها . كما ذكر أنها الوصايا التى تثبت خوف الله فى قلوب البشر المبتدئين فى معرفتهم لله ، أما وصايا العهد الجديد فجاءت تثبت حرية أولاد الله بالمحبة التى لو أعطيت بهذه الصورة فى العهد القديم لأساء الشعب فهمها وإستعمالها . كذلك وصايا العهد الجديد إهتمت بملكوت السموات ، أما وصايا العهد القديم التى بلا شك تهدف إلى ملكوت السموات إلا أنها إهتمت بالأمور الأرضية لأن الشعب كان بدائيا فى علاقته مع الله وتعلقه بالسماويات .

إله واحد ، تكلم فى القديم بواسطة أنبيائه وخدامه القديسين معلناً الوصايا الأقل لشعب يعرف الله عن طريق الخوف ، ولكن الذى يوزع الأزمنة بترتيب كامل ، أعطى بواسطة إبنه الوصايا العظمى لشعب قد تهيأ للتحرر بالمحبة .

علاوة على ذلك عندما أعطيت الوصايا الصغرى للصغار والعظمى للعظماء ، إنما أعطيت بواسطة الله الذى وحده يقدم للبشرية الدواء المناسب بحسب أحوالها .

ولا نعجب من أن تعطى الوصايا العظمى التى لأجل ملكوت السموات والصغرى التى للملكوت الأرضى بواسطة ذلك الواحد ، الله نفسه صانع السماء والأرض . لذلك قيل بالنبى عن بر الله « عدلك مثل جبال الله »[1] وهذا قد يعنى حسناً أنه يليق بالسيد الواحد أن يعلم الأمور العظيمة على جبل .

إنه يعلم جالساً ، وهذا يليق بمقام وظيفة المعلم .

« فلما جلس تقدم إليه تلاميذه » ، ليكونوا قريبين منه بالجسد ليسمعوا كلماته ، كما هم قريبين منه بالروح بتنفيذ وصاياه .

« ففتح فاه قائلا » . وربما كانت هذه الدقة تشير برقة ؛ إلى

---

(١) مز ٣٦ : ٦ .

طول العظة بنوع ما . وربما يكون هذا القول لأنه الآن فتح فاه ، بينما إعتاد فى الشريعة القديمة أن يفتح أفواه الأنبياء [1] .

٣

ماذا يقول إذن ؟

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات

نقرأ فى الكتاب المقدس عن التعب من أجل الأمور الزمنية « الجميع باطل وكآبة الروح » [2] أما كلمة كآبة الروح *Presumption of spirit* ، فتعنى الوقاحة والكبرياء والغطرسة ومن المعتاد أيضاً أن يقال عن المتكبر أن به أرواحاً متعالية وهذا صحيح لأن الريح تدعى روحاً . وبهذا كتب « النار والبرد والثلج والضباب الريح العاصفة *Spirit of tempest* [3] حقاً إن المتكبر يدعى منتفخاً كما لو كان متعالياً مع الريح . وهنا يقول الرسول « العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى » [4] .

---

(١) يقول القديس يوحنا فم الذهب أن السيد المسيح فتح فاه وعلم ، لأنه علم قبل ذلك بسلوكه وأعماله الحسنة من غير أن يفتح فاه .

(٢) حسب طبعة رومية ،أما طبعة بيروت « الكل باطل وقبض الريح » .

(٣) مز : ١٤٨ : ٨ . (٤) ١ كو ٨ : ١ .

لنفهم بالحقيقة أن المساكين بالروح هم المتواضعون وخائفو الله أى الذين ليس لديهم الروح التى تنتفخ .

بالحق ليس للتطويبات أن تبدأ بغير هذه البداءة ، مادامت موضوعة لأجـــل بلوغ الحكمة العالية « رأس الحكمة مخافة الرب »[1] ومن الناحية الأخرى « الكبرياء أول الخطايا »[2].

إذن فليبحث المتكبر عن الممالك الأرضية ويحبها ، ولكن « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » .

† † †

(١) مز ١١١ : ١٠. (٢) حكمة يشوع ١٠ : ١٥.

فإذا وجدت محبة الأشياء الأبدية ، فإنهم يكونون مجروحين بقدر ضئيل من الحزن . لهذا يتعزون بالروح القدس الذى دعى بسبب هذا « بالباركليت » أى المعزى ، حتى يتمتعوا إلى التمام بما هو أبدى بفقدانهم المتع الوقتية .

٦

طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون

إنه يدعو هذا الفريق بمحبى الحق والصلاح الذى لا يفنى ، لذلك يشبعون بذلك الطعام الذى قال عنه الرب نفسه « طعامى أن أعمل مشيئة أبى » أى البر ، وبذلك الماء الذى قال عنه أيضا « ومن يشرب... يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية »[١].

٧

طوبى للرحماء لأنهم يرحمون

إن الذين ينقذون البائسين مطوبين لأن عملهم هذا يرتد اليهم بطريقة يتحررون بها من البؤس .

٨

طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله

يا لغباوة الباحثين عن الله بهذه العيون الخارجية ،إذ لا يرى

---

(١) يو ٤ : ١٤ .

الله إلا بالقلب ، وذلك كما هو مكتوب فى موضع آخر « إلتمسوه بقلب سليم »[1] ، لأنه ما هو القلب النقى سوى القلب السليم والبسيط . وكما أن هذا النور لا يرى إلا بعيون نقية ،هكذا لا يرى الله ما لم يكن ذاك الذى يراه (أى القلب) نقياً .

٩

طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون

يكون كال السلام حيث **لا توجد مقاومة** . فأبناء الله صانعو سلام ، لأنه ينبغى للأبناء أن يتشبهوا بأبيهم . إنهم صانعو سلام فى ذواتهم ، إذ يسيطرون على حركات أرواحهم ويخضعونها للصواب أى للعقل والروح ، ويقمعون شهواتهم الجسدية تماماً ، وهكذا يظهر ملكوت الله الذى فيه يكون الإنسان هكذا : ـ

كل ما هو سام وجليل فى الإنسان يسيطر **بدون مقاومة** ، على العناصر الأخرى الجسدانية (التى يشترك فيها مع الحيوان) ، وينبغى أن يخضع ذلك العنصر السامى لشىء أفضل أيضاً ، إلا وهو **الحق** ، ابن الله المولود ، لأنه لا يستطيع الإنسان السيطرة على الأشياء الدنيا ما لم تخضع ذاته لمن هو أعظم منه . هذا هو

---

(١) حك ١:١ .

السلام الذى يعطى الإرادة الصالحة ، هذه هى حياة الإنسان
الحكيم صانع السلام .

أما رئيس هذا العالم (الشيطان) ، المسيطر حيثما وجد
الضلال والاضطراب ، فيبتعد عن إنسان يسود حياته السلام
والترتيب الكامل ويسيطر عليها إبن الله. فعندما ينشأ هذا السلام
من الداخل ويثبت ، فإن جميع الاضطهادات التى يثيرها رئيس
هذا العالم من الخارج ، **لا تستطيع أن تهز شيئا من ذلك البناء
الداخل** ، بل يؤدى قوة البناء من الداخل إلى فشل مكائد إبليس
من الخارج .

لذا أكمل الرب قائلا « طوبى للمطرودين من أجل البر لأن
لهم ملكوت السموات » .

† † †

الفصل الثالث

١٠

ترتيب التطويبات

فى العبارات الثمانية الاولى كان يتحدث رب المجد إلى الجميع، أما ما جاء بعد ذلك فحدّث بصفة خاصة الحاضرين. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم». فالعبارات السابقة كانت موجهة بصيغة عامة لانه لم يقل «طوبى لكم أيها المساكين بالروح لان لكم ملكوت السموات» بل قال طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات»، ولم يقل «طوبى لكم أيها الودعاء لانكم ترثون الارض»، بل قال «طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض»، وهكذا حتى العبارة الثامنة حيث يقول «طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات».

فالعبارات الثمانية تخص الماثلين أمامه رغم توجيهها بصيغة عامة للجميع، والحديث الاخير يخص الجميع رغم توجيهه بصفة خاصة للحاضرين معه.

لهذا يجب أن نتأمل بعناية فى عدد العبارات الماثلة أمامنا وترتيبها.

١ - بدأت التطويبات **بالاتضاع** «طوبى للمساكين بالروح» أى لغير المتنفخين ، عندئذ تخضع الروح للسلطان الإلهى خوفاً من عقابها فى الحيـاة الأبدية ، رغم ما يبدو لها من سـعادة فى الحياة الحاضرة .

٢ - عندئذ تعرف الروح الكتب المقدسة الإلهية ، حيث ينبغى لها أن تعرفها **بوداعة وتقوى** ، لئلا تتجاسر وتنقد ما قد يبدو غير معقول للجاهل وتصبح غير قابلة للتعليم بسبب المناقشات السقيمة .

٣ - بعد ذلك تبـدأ الروح فى التعرف على مقـدار أشراك هذا العالم التى تسقط فيها بسبب الخطـايا الشهوانية **فتحزن** على فقدانها للخير الأعظم وإلتصاقها بما هو دنىء .

٤ - يظهر الجهاد بعد ذلك - فى المرحلة الرابعة - حيث يبرز الجهـاد فيبتعد العقـــل عن الأمور التى سقط فيهـا بسبب لذة إغـراءاتها . هنا **يجاع الى البر ويعطش اليه** ، ويكون الاحتمال (القوة) ضرورياً جداً ، حيث لا يمكن ترك ما فيه لذة بدون ألم .

٥ - لهذا فى المرحلة الخامسة يعطى المثابرين على الجهاد مشورة للتخلص من الأشياء (المهلكة) ، فلا يستطيع أحد أن يتخلص من أشراك بؤس عظيمة كهذه بدون معونة من هو أعظم منه . يالها

من مشورة عادلة ! ! فعلى الراغب فى معونة من هو أعظم منه ، أن يساعد ما هو أضعف منه فيما هو قوى فيه ، لذلك « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » .

٦ - تأتى فى المرحلة السادسة **نقاوة القلب** ، ذلك القلب الذى يستطيع بالضمير الصالح للأعمال الصالحة أن يعاين الصلاح الأعظم. هذا هو الصلاح الذى يدرك بالذهن النقى الهادىء

٧ - أخيراً المرحلة السابعة وهى الحكمة نفسها ، أى التأمل فى الحق، متشبهاً بالله، عندئذ يقول «طوبى **لصانعى السلام** لأنهم أبناء الله يدعون ».

أما المرحلة الثامنة فكما لوكانت تعود إلى نقطة البداية، لهذا دعى ملكوت السموات فى كلى المرحلتين الأولى والثامنة . ففى الأولى « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » وفى الثامنة طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ». وكأنه يقول من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف [1]. فالأشياء التى تجلب الكمال سبعة لأن الثامنة ليست إلا توضيح وإظهار لما هو كامل وذلك كالأولى ، فكأنها بدأت من جديد . . .

---

(١) رو ٨ : ٤٥ .

الفصل السابع

١١

كلمات اشعياء النبى عن روح الرب والتطويبات

يبدو أن أعمال الروح القدس التى تكلم عنها أشعيا النبى [1] تقابل هذه المراحل أو العبارات السبعة ، إلا أنه يوجد بينهما إختلاف فى الترتيب . فكلمات النبى أشعياء تتدرج من الاعظم إلى الأقل وأما هنا فيصعد من الأقل إلى الاعظم .

فأشعياء يبدأ بالحكمة وينتهى بمخافة الرب ، لأن « رأس الحكمة مخافة الرب » . لذلك إذ رتبنا ما ورد لأشعياء النبى ترتيباً تصاعديا (بدلا من ترتيبه التنازلى) فسيبدأ بمخافة الرب ، ثانياً التقوى ، ثالثاً المعرفة ، رابعاً القوة (الإحتمال) ، خامساً المشورة سادساً الفهم ، سابعاً الحكمة .

أولا : مخافة الرب تقابل المتواضعين الذين قيل عنهم « طوبى

---

(١) أنظر أش ١١ : ٢ ، ٣ « ويحل روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب (التقوى) . ولذته تكون فى مخافة الرب » (حسب الترجمة البيروتية) ، أما طبعة الكاثوليك فقد ورد فيها ويستقر عليه روح الحكمة والفهم . روح المشورة والقوة . روح العلم وتقوى الرب ويتنعم بمخافة الرب .

للمساكين بالروح ، أى غير المنتفخين هؤلاء الذين يخاطبهم الرسول قائلا « لا تستكبر بل خف » [1] أى لا ترتفع .

ثانيا : التقوى تقابل الودعاء لأن الباحث بتقوى يكرم الكتاب المقدس ولا ينتقد ما لم يفهمه بعد ، وهذا هو الوديع الذى قيل عنه (طوبى للودعاء) .

ثالثا : المعرفة تقابل هؤلاء الحزانى الذين بواسطة الكتاب المقدس عرفوا الشرور التى تسلطت عليهم ، والتى كانوا يشتهونها بجهل كما لو كانت أشياء صالحة ومفيدة ، فحزنوا نادمين عليها .

رابعا : القوة تقابل هؤلاء الجياع والعطاش الذين يجاهدون باجتهاد لنوال الفرح من الأشياء الحقيقية ، باحثين بشغف لتوجيه حبهم بعيداً عن الأشياء الزمنية ، عن هؤلاء قيل « طوبى للجياع والعطاش إلى البر » .

خامسا : المشورة تقابل الرحماء ، لأن العلاج الوحيد للهروب من شرور كثيرة هو أن نغفر للآخرين ما دمنا نطلب المغفرة ، ونساعد الآخرين قدر إستطاعتنا ما دمنا نطلب عوناً بسبب ضعفنا . وعن هؤلاء قيل « طوبى للرحماء » .

---

(١) رو ١١ : ٢٠ .

سادسا : الفهم يقابل أنقياء القلب فكأن العين قد تنقت لتنظر ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر . وعن هؤلاء قيل « طوبى للأنقياء القلب » .

سابعا : الحكمة تقابل صانعي السلام ، ففي صانع السلام يصبح كل شيء منظماً ، فعواطفهم لا تثور على العقل ، بل يخضع كل ما في الإنسان لروحه ، بينما تخضع روحه لله . وعن هؤلاء قيل « طوبى لصانعي السلام » .

١٢

الجـزاء

علاوة على ذلك سمي الجزاء الوحيد - أي ملكوت السموات باسماء مختلفة حسب كل مرحلة من هذه المراحل[١] .

ففي الأولى أعطى الجزاء « ملكوت السموات » وهو أعلى مراتب حكمة الروح وأكثرها كمالاً لذلك قيل «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » فكأنه قيل « رأس الحكمة مخافة الرب » .

أعطى الرب للودعاء ميراثاً ، كما لو كان ذلك ميثاقاً من الآب

---

(١) لاحظ كيف يربط أغسطينوس بين المطوبين وعمل روح الرب الوارد بسفر أشعياء النبي والجزاء .

للباحثين عنه بتقوى . « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » .

أعطى للحزانى عزاءاً لأنهم عرفوا ما فقدوه ، وعرفوا أى الخطايا سقطوا ، « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » .

أعطى للجياع والعطاش شبعاً ، انعاشاً للمجاهدين والمناضلين من أجل الخلاص « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » .

أعطى للرحماء رحمة لأنهم يقبلون مشورة حقيقية رائعة ، فيعاملهم الأعظم منهم (الله) بنفس المعاملة التى يعاملون بها من هم أقل منهم « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » .

أعطى لصانعى السلام التشبه به بكونهم كاملى الحكمة وأخذهم صورة الله بواسطة تجديد حياتهم « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » .

حقا يمكن لهذه المواعيد أن تتحقق فى هذه الحياة ، وذلك كما نعتقد بأنها تحققت مع الرسل ؛ لأنه لو كان يقصد تحقيقها فى السماء لما أمكن التعبير عنها بكلمات .

طوبى للمطرودين من أجل البر

هذه العبارة التى ترجع إلى نقطة البداية (أى ليست مرحلة ثامنة إنما تظهر كمال الشخص بتحقيقه المراحل السبع السابقة) .

ربما يتضح معناها بالختان في اليوم الثامن في العهد القديم وقيامة الرب بعد السبت ، أى اليوم الثامن والأول في نفس الوقت ، كما يتضح بالاحتفال بالأيام الثمانية المفرحة التى تشيد عند إهتداء الإنسان، كذلك بنفس العدد الذى للخماسين ، لأنه بضرب سبعة سبع مرات ينتج الرقم ٤٩ ، ويضاف اليه اليوم الثامن ينتج العدد ٥٠ ، وكأننا عدنا إلى البداية ، ذلك اليوم الذى فيه حل الروح القدس. **فبالروح القدس نصل الى ملكوت السموات ونأخذ ميراثا ونتعزى ونشبع وننال رحمة ونتنقى ونصير صانعى سلام** ؛ (فتتم التطويبات السبع الأولى فينا) ، إذاً نصير كاملين. هكذا نحتمل كل الأتعاب التى تجلب علينا من الخارج (أى من خارج الإنسان) من أجل البر والحق .

† † †

الفصل الخامس

١٣

طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات .

هكذا يقول الرب ، ليعلم المسيحى بالاسم ، أى الذى يبحث عن ملذات هذا العالم وغنى هذه الأمور ، ان سعادتنا داخلية ، كما قيل عن الكنيسة بلسان النبى : « جميع مجدها فى الداخل »[1]. فقد وعد الرب بالتعيير الخارجى والطرد والاحتقار ، إلا أن لهذه الأشياء جزاء عظيم فى السموات ، يشعر بها الذين يحتملونها هاتفين مع الرسول « نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى لأن محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا »[2]. وإحتمال هذه الأتعاب المفيدة ليست بالأمر الهين ، ولكن احتمالها من أجل المسيح لا يكون بفكر هادىء فحسب بل وبفرح أيضاً .

كثير من الهراطقة الخادعين للنفوس تحملوا أتعاباً كثيرة

---

(١) مز ٤٥ : ١٣ الطبعة الكاثوليكية ـ أما البيروتية فهى « مجد ابنة الملك فى خدرها » .

(٢) رو ٥ : ٣ ، ٥ .

كهذه إلا أنهم حرموا من الجزاء ، لأنه لم يقل «طوبى للمطرودين» فقط بل أضاف «لأجل البر» فحيث لا يوجد إيمان قويم لا يوجد بر ، لأن البار بالإيمان يحيا [1].

ولا ينبغي أن يظن المنقسمون أن لهم هذا الجزاء ، لأنهم يشبهون الهراطقة . وحيث هم بلا محبة فهم بلا بر ، لأن «المحبة لا تصنع شراً للقريب» [2] **فلو كانت لديهم محبة لما مزقوا جسد المسيح الذي هو الكنيسة الى اجزاء .**

١٤

قد نسأل ما هو الفرق بين قوله «إذا عيروكم» وقوله «قالوا عليكم كل كلمة شريرة» ما دام المعنى يبدو واحد ؟ .

إن القول بكلمة التعيير يكون بسخرية في حضرة المعيَّر ، كما قيل لربنا «ألسنا نقول حسنا أنك سامرى وبك شيطان» [3] ، وهذا يختلف عن تجريح سمعتنا في غيابنا ، كما كتب عن المسيح أيضاً «بعضهم يقولون أنه صالح وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب» [4].

ثم التعيير يكون فيه عنف أو تدبير للمكائد كما جاء عن الذى خان المسيح والذين صلبوه .

---

(١) أنظر رو ١ : ١٧ .
(٢) رو ١٣ : ١٠ .
(٣) يو ٨ : ٤٨ .
(٤) يو ٧ : ١٢ .

والحقيقة المؤكدة أيضاً أنه لم يقل « وقالوا عليكم كل كلمة شريرة » فحسب بل أضاف « من أجلى » و « كاذبين » . وأظن أن هذه الإضافة قد وضعت لأجل الراغبين فى المجد الزمنى باعتباره بديلا عن طردهم وتجريح سمعتهم كما يرغبوا فى أن يقال عنهم أنهم أتباع المسيح بسبب ما يتحملونه من شرور وآلام، ولكن ما يقال عنهم قد يكون صحيحاً إن كان بسبب أخطائهم ، وقد لا يكون صحيحاً إذا أتهموا بأمور لم يفعلوها ، وفى هذه الحالة أيضاً لا يحتملونها من أجل المسيح . لأن الذى يدعى مسيحى دون الايمان الحقيقى وتعاليم الكنيسة ليس بتابع المسيح .

١٥

افرحوا وتهللوا لأن اجركم عظيم فى السموات

انى لا أظن الذى دعى بالسموات هنا هو ذاك الجلد الذى نراه فى عالمنا المنظور ، وبذلك لا يكون جزاؤنا فى أشياء زائلة زمنية بل أبدياً سماوياً . وأعتقد كذلك أن كلمة « فى السموات » تعنى الجلد الروحى الساكن فيه البر الأبدى ... إذ يقول الرسول عنها « فإن سيرتنا نحن فى السماء » [١]. ولهذا يدرك المتهالون بالروح هذا الجزاء المنتظر فى العالم ، غير أن إدراكهم يكمل من

---

(١) فى ٣ : ٢٠ .

جميع النواحى عندما يأخذ الفاسد عدم فساد (أى فى الحياة الابدية) .

فانهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم

لقد إستخدم كلمة « الطرد » فى هذا الموضع فى معناها العام قاصداً بها التعيير وتجريح السمعة مشجعاً المطرودين حسناً بمثال الانبياء ، لأن الذين يتكلمون بالحق إعتادوا أن يعانوا من الطرد ومع هذا لم يكفوا عن التبشير بالحق بسبب الخوف من الطرد .

✝ ✝ ✝

الفصل السادس

١٦

رسالتنا فى العالم

يلى ذلك عبارة « أنتم ملح الارض » ، مشــيرة إلى تلك الجماعات التى تفتقر إلى الأمور الأبدية التى لا يمكن أن يأخذها أو يعطيها إنسان ، ساعية بشغف للاغتناء من الأشياء الأرضية . خائفة من العوز ... هذه إن هى إلا جماعات بلا طعم ... بلا ملح !! « **ولكن ان فسد الملح فبماذا يملح** » ، أى إن كـنتم أنتم الذين بواسطتـكم تحفظ الأمم من الفساد تخسرون ملكوت السموات بسبب الخوف من الطـرد الزمنى ، فمن هم الذين يرسـلهم الرب لخلاص نفوسكم إن كان قد أرسلـكم لأجل خلاص الآخرين ؟ !

لذلك فإن الملح الفاسد « لا يصلح بعد لشىء إلا لأن يطرح خارجـاً ويداس من الناس » ، والذى يدوسه النـاس ليس هو المطرود بل الخائف من الطرد ، ذلك هو الانسان الأرضى الذى يداس من الناس ، أما الذى يعانى أتعاباً كثيرة بالجسد مع ثبات قلبه فى السماويات فهو ليس بأرضى حتى يداس من الناس .

١٧

أنتم نور العالم

وبنفس الطريقة التى تحدث بها قبلاً قائلاً «أنتم ملح الأرض» يقول الآن «أنتم نور العالم». فى الأولى لا تفهم الأرض على أنها تلك التى ندوسها بأقدامنا بل البشر القاطنين فيها، أو الخطاة الذين لأجل إصلاح فسادهم أرسل الرب الملح الرسولى. و«العالم» هنا لا يعنى السماء والأرض بل البشر الساكنين فى العالم أو مريديه، هؤلاء لأجل إنارتهم أرسل الرب الرسل.

لا يمكن ان تخفى مدينة على جبل أى المدينة المؤسسة على بر عظيم ممتاز، الذى يشير إليه الجبل الذى يعظ عليه ربنا.

ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت مكيال

ماذا يقصد بهذا؟

١ - «تحت مكيال» تعنى إخفاء السراج: كأنه يقول «ولا يوقد أحد سراجاً ويخبئه»

أم يقصد بالمكيال شيئاً آخراً، وذلك لأن وضع السراج تحت المكيال يعنى أننا نحجب النور الروحى ونغلف الروح نفسها بأغلفة المادة الكثيفة وملذات الجسد تلك التى تكال وتقاس،

فلا نبشر بالحق ما دمنا نخشى تحمل أى ضـيق فى أمور جسدية زمنية .

٣ ـ أم يقصد بالمكيال نوال الجزاء بمقياس ، فينال كل شخص جزاءً بحسب أعماله ، كقول الرسول « ينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع » [١] ، كما قيل فى موضع آخر ـ كما عن المكيال الذى للجسد « وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » [٢] .

٤ ـ أم قصد بذلك أن الأشياء الصالحة الزمنية التى تكمل فى الجسد تحدث فى الأطار الزمنى المحدود ، بينما لا تلتزم الأمور الروحيـــة الأبدية بحدود كهذه « لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح » . [٣]

لذلك فإن كل من يخفى نور التعاليم الصادقة ويخبئها بالأشياء الجسدية الزمنية يضع سراجه تحت المكيال .

بل على المناره

الذى يخضع جسده لخدمة الله يضـــع السراج على المنارة فيكون التبشير بالحق فى مرتبة أعلى وخدمة الجســـد فى مرتبة

---

(١) ٢ كو ٥ : ١٠ (٢) أنظر مت ٧ : ٢

(٣) يو ٣ : ٣٤

أذنى . ومع هذا فإن التعاليم تزداد وضوحاً بصورة محسوسة باستخدام الحواس الجسدية ، ، أى عندما تسخر الحواس المختلفة (اللسان ـ والفكر ـ وأعضاء الجسد) فى التعليم ، لذلك يضع الرسول سراجه على المنارة عندما يقول هكذا « أضارب كأنى لا أضرب الهواء . بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » [1]

فيضيء لجميع الذين فى البيت

أظن أن الذى دعى بالبيت هنا هو مسكن البشر ، أى العالم نفسه ، وذلك كقوله « أنتم نور العالم » . إلا أنه إذا فهم شخص ما البيت على أنه الكنيسة فهذا صحيح أيضاً .

† † †

---

(۱) ۱ كو ۹ : ۲٦ ، ۲۷ .

الفصل السابع

١٨

ارضاء النـاس

فليضيء نوركم هـكذا قدام النـاس لـكي يروا أعمالـكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات .

لو قال «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لـكي يروا أعمالكم الحسنة » فقط ، لبدى كأنه جعل مديح الناس هدفاً ، هذا الذي يطلبه المراطقة وملتمسوا الكرامات والمتهافتين على المجد الزائل. وقد قيل عن هذه الجماعات « فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح »[١] ويقول النبي عن الذين أرضوا البشر « أخزيتهم لأن الله قد رفضهم » و « لأن الله قد بدد عظـام الذين يرضون البشـر »[٢] ويقول الرسـول « لا نكن معجبين »[٣] كما يقول « ولـكن ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره »[٤] .

لذلك لم يقل « لكي يروا أعمالكم الحسنة » فقط ، بل أضاف

---

(١) غلا ١ : ١٠ (٢) أنظر مز ٥٣ : ٥
(٣) غلا ٥ : ٢٦ (٤) غلا ٦ : ٤

«ويمجدوا أباكم الذى فى السموات »لأن الإنسان يرضى الآخرين بأعماله الحسنة ، لا لأجل إرضائهم فى ذاته ، بل لتمجيد الله. فيرضى البشر ليتمجد الله فى عمله ، لأنه يليق بالذين يعجبون بالأعمال الحسنة أن يمجدوا الله لا الإنسان. وذلك كما أظهر ربنا عند شفاء المفلوج ، يقول معلمنا متى «تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطاناً مثل هذا » [1] .

ويقول المتشبه به بولس الرسول « غير أنهم كانوا يسمعون أن الذى كان يضطهدنا قبلا يبشر الآن بالايمان الذى كان قبلا يتلفه فكانوا يمجدون الله فىّ » [2].

١٩

بعد ما نصح الرب سامعيه أن يعدوا أنفسهم لاحتمال كل شىء من أجل الحق والبر وعدم إخفاء ما أوشكوا أن يتسلموه من الوصايا ، وبعدما وجههم إلى ضرورة تعليم الآخرين ، غير هادفين فى ذلك نحو تمجيد ذواتهم بل مجد الله ، بدأ الآن يخبرهم ويعلمهم ما ينبغى لهم أن يعلموه. فكأنهم سألوه قائلين : هوذا نحن مستعدون لاحتمال كل شىء من أجل إسمك وعدم إخفاء

---

(١) مت ٩ . (٢) عد ١ : ٢٣ ، ٢٤ .

تعاليمك ، فما هى هذه التعاليم التى منعتنا من إخفائها والتى من أجلها أمرتنا باحتمال كل شىء ؟ هل ستذكر لنا وصايا تخالف ما جاءت بالناموس ؟ .

يجيب قائلا « لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس، ما جئت لأنقض بل لأكمل » .

† † †

الفصل الثامن

٢٠

تكميل الشريعة الموسوية

العبارة « ما جئت لانقض بل لأكمل لها معنيان وسننظر في كلى المعنيين . فقد قصد الرب إما تكميل ما كان ناقصاً فى الناموس ، أو تنفيذ ما ورد فيه .

لنتأمل فى المعنى الاول ، فالذى يكمل ما كان ناقصاً لا ينقض ما قد أوجده بل يثبته بإضافة ما يكمله . لذلك اعقب الرب قائلا **فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل** (I)

فإن كانت الإضافة كاملة فبالأولى تكون البداءة كاملة . لذلك يفهم قوله « لا يزول حرف (1) واحد أو نقطة واحدة من الناموس » على أنها تعبير عن كمال الناموس .

لقد أشار بحرف صغير، لأن حرف (I) أصغر الحروف إذ يتكون من خط صغير ، ثم أشار إلى النقطة وهى التى توضع على الحرف، مظهراً بذلك أن لاصغر الاجزاء فى الناموس قيمة.

الفصل الثامن

٢٠

تكميل الشريعة الموسوية

العبارة « ما جئت لانقض بل لأكمل لها معنيان وسننظر في كلى المعنيين . فقد قصد الرب إما تكميل ما كان ناقصاً فى الناموس ، أو تنفيذ ما ورد فيه .

لنتأمل فى المعنى الاول ، فالذى يكمل ما كان ناقصاً لا ينقض ما قد أوجده بل يثبته بإضافة مايكمله . لذلك اعقب الرب قائلا **فانى الحق اقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف (I) واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل**

فإن كانت الإضافة كاملة فبالأولى تكون البداءة كاملة . لذلك يفهم قوله « لا يزول حرف (I) واحد أو نقطة واحدة من الناموس » على أنها تعبير عن كمال الناموس .

لقد أشار بحرف صغير، لأن حرف (I) أصغر الحروف إذ يتكون من خط صغير ، ثم أشار إلى النقطة وهى التى توضع على الحرف، مظهراً بذلك أن لأصغر الأجزاء فى الناموس قيمة.

الفصل التاسع

٢١

هل من ضرورة لتكميل الناموس ؟

فاني الحق اقول لكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات .

يقصد بذلك انه إن لم تنفذوا ، لا وصايا الناموس الصغرى فحسب التي يبدأ بها الإنسان ، بل وتلك التي أضيفها - أنا غير الناقض للناموس - لن تدخلوا ملكوت السموات .

لكنكم قد تسألونى: إن كان عند حديثه عن الوصايا الصغرى قال بأن الذى ينقض واحدة منها ويعلم الناس بما نقضه يدعى الأصغر فى ملكوت السموات،وأن من عمل وعلم بها يدعى عظيما فى ملكوت السموات ؛ فما حاجتنا بعد إلى ما سيضيفه رب المجد لتكملة الوصايا الصغرى ما دام الذى يعمل ويعلم بها يدعى عظيما ويمكنه دخول ملكوت السموات ؟

لذلك فالعبارة « وأما من عمل وعلم فهو يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » تفهم على أنها : من عمل وعلم لا الوصايا الصغرى فحسب بل والتى سيضيفها الرب أيضاً. والآن ما هى هذه الوصايا ؟

الحكم . وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم .

ما الفارق بين « يكون مستوجب الحكم »، « يكون مستوجب المجمع »، « يكون مستوجب نار جهنم » ؟ لأن هذه العبارات صعبة للغاية ، فهى تذكرنا بمراحل مختلفة تتدرج مما هو أخف إلى ما هو ثقيل حتى تبلغ إلى نار جهنم . فإن كان الاستحقاق للحكم أخف من الإستحقاق للمجمع، وهذا الأخير أخف من الإستحقاق لنار جهنم، فينبغى لنا أن نفهم الغضب على الأخ باطلا أقل من القول « رقا » ، وهذا الأخير أقل من « يا أحمق » ، لأن الحكم لا يكون متدرجاً ما لم يكن الخطأ متدرجاً كذلك .

٢٣

كلمة رقا *Raca* كلمة غامضة وهي ليست كلمة لا تينية ولا يونانية ، أما العبارات الأخرى فهى دارجة فى لغتنا ... [١] .

من ثم فالتفسير الأكثر إحتمالا هو ما قاله لى رجل عبرانى

(١) لقد أراد البعض تفسير كلمة « رقا » من اليونانية مفترضين أن الشخص رث الثياب يدعى رقا ، لأن كلمة *rag* تدعى فى اليونانية (روكس *pokoe*) ومع هذا فلو سألناهم : ماذا يدعى ذو الثياب الرثة فى اليونانية فانهم لا يجيبوا بأنه يدعى « رقا » .

كنت قد سألته عن هذه الكلمة فأجابنى بأنها **لا تعنى سوى مجرد تعبير عن انفعال الغضب** . ويسمى رجال النحو هذه الكلمات التى تعبر عن إنفعالات الفكر «أدوات تعجب» وذلك كقول الحزين! *Alas* والغاضب ! *Hah* ، وهذه الكلمات ... يصعب ترجمتها من لغة إلى لغة. لذلك لم يستطع المترجمون اليونانيون واللاتينيون ترجمتها (من العبرية) فوضعوها كما هى .

٢٤

هذه الانفعالات لها درجات، فيأتى **الغضب** فى المرحلة الأولى حيث يحفظ الانفعال فى داخل القلب دون أن يعبر عنه بحركة ظاهرة . أما **اذا نتج عن الغضب تعبير بكلمة لا معنى لها سوى دلالتها على الغضب** فتكون هذه الحالة فى مرتبة أسوأ من الأولى.

وأما الحالة الثالثة وهى **اذا عبر عن الغضب بتعبير يستخدمه المجتمع للذم** ، فمن يشك فى أن هذه المرحلة أكثر سوءاً من المرحلتين السابقتين .

ففى المرحلة الأولى يوجد انفعال الغضب فى الداخل ، وفى الثانية يوجد الغضب مصحوبا بانفعال ظاهرى، أما فى الحالة الثالثة فيوجد الغضب والإنفعال الظاهرى مصحوبا بكلمة ذم .

لننظر الآن إلى الثلاثة درجات من الأحكام : الحكم ، المجمع نار جهنم . ففى الحكم يترك للمتهم فرصة للدفاع عن نفسه . وأما المجمع فبالرغم من اعتباره « حكما » إلا أنه يختلف عنه فى كون دينونة المتهم غير مشكوك فيها ،فالقضاة فى المجمع عليهم أن يضعوا صيغة الحكم ، وأن يحددوا مدى الجزاء الذى يوقع على المتهم . أما فى نار جهنم فدينونة الشخص غير مشكوك فيها ـ كما فى الحكم ـ وكذلك أمر جزائه غير مشكوك فيه ـ كما فى المجمع ، ففى هذه الحالة دينونة الشخص وجزاؤه مؤكدان .

لقد رأينا درجات مختلفة للانفعالات وجزاءها ،أما جزاءات الروح فمن يستطيع أن يخبرنى عن طرقها غير المنظورة ؟! لذلك نرى فرقاً شاسعاً بين حكم الفريسيين والبر الأعظم للداخلين ملكوت السموات . فلأن القتل أشر من التعيير ، فأننا نجد فى شريعة الفريسيين لايتقدم إلى المحاكمة غير القاتل ،أما فى البر الأعظم فيتقدم الغاضب إلى المحاكمة .

المحاكمة الأولى بشرية نهايتها قتل الجسد ، أما الثانية فإلهية نهايتها نار جهنم ، **غير أن الذى يقول بأن القاتل يعاقب بعقوبة أعظم من الذى يغضب، فانه يجبرنا على القبول « بجهنمات مختلفة» لأن الغضب وهو أقل من القتل عقوبته نار جهنم .**

لننظر الآن إلى الثلاثة درجات من الأحكام : الحكم ، المجمع نار جهنم . ففى الحكم يترك للمتهم فرصة للدفاع عن نفسه . وأما المجمع فبالرغم من اعتباره « حكما » إلا أنه يختلف عنه فى كون دينونة المتهم غير مشكوك فيها ، فالقضاة فى المجمع عليهم أن يضعوا صيغة الحكم ، وأن يحددوا مدى الجزاء الذى يوقع على المتهم . أما فى نار جهنم فدينونة الشخص غير مشكوك فيها - كما فى الحكم - وكذلك أمر جزائه غير مشكوك فيه - كما فى المجمع ، ففى هذه الحالة دينونة الشخص وجزاؤه مؤكدان .

لقد رأينا درجات مختلفة للانفعالات وجزاءها . أما جزاءات الروح فمن يستطيع أن يخبرنى عن طرقها غير المنظورة ؟! لذلك نرى فرقاً شاسعاً بين حكم الفريسيين والبر الأعظم للداخلين ملكوت السموات . فلأن القتل أشر من التعيير ، فأننا نجد فى شريعة الفريسيين لا يتقدم إلى المحاكمة غير القاتل ، أما فى البر الأعظم فيتقدم الغاضب إلى المحاكمة .

المحاكمة الأولى بشرية نهايتها قتل الجسد ، أما الثانية فإلهية نهايتها نار جهنم ، **غير أن الذى يقول بأن القاتل يعاقب بعقوبة أعظم من الذى يغضب ، فانه يجبرنا على القبول « بجهنمات مختلفة » لأن الغضب وهو أقل من القتل عقوبته نار جهنم .**

حرفياً - لظننا أنه لا يمكن تنفيذ الوصية إلا إذا كان الأخ حاضراً معنا ، لأنه لا يمكن ترك القربان أمام المذبح مدة طويلة حتى نعود من عند أخينا . فلو تذكرنا شيئاً بخصوص أخ غائب مقيم فيما وراء البحار ، فمن غير المعقول أن نترك قرباننا قدام المذبح حتى نعود ونقدمه لله بعد أن نجتاز ممالك وبحاراً . لهذا نأخذ هذا النص بمعنى روحى داخلى .

٢٧

يمكن تفسير « المذبح » على أنه الإيمان الذى فى الهيكل الداخلى « حياتنا » ، هذا الذى يرمز له بالهيكل المنظور .

لأن أى تقدمة نقدمها لله ، سواء كانت نبوة أو تعليم أو صلاة أو مزمور أو تسبحة أو أى تقدمة روحية أخرى تشغل الذهن ، لا يمكن قبولها عند الله ما لم يعضدها الإيمان القويم ، أى ما لم توضع على المذبح غير المتزعزع ، حتى تكون تقدمتنا كاملة وصادقة .

كثير من الهراطقة الذين بلا مذبح للايمان تقدموا بتقدمات ناطقين بهرطقاتهم لأجل تمجيد ذواتهم ، فإذا ثقل حمل هذه التقدمات ألقوا بها على الأرض « أى لم توضع على مذبح الإيمان » .

وعلى من يتقدم بتقدمة يكون نقى النية ، لذلك إذا رغبنا فى تقديم أى تقدمة فى قلوبنا ، أى فى هيكل الله الداخلى... وتذكرنا أن لأخينا شيئاً علينا أى أسأنا إليه ، وجب مصالحته . أما إذا كان قد أساء هو إلينا ، فيكون لنا نحن شىء عليه ، وفى هذه الحالة لا يلزم الذهاب لمصالحته، لأنك لا تطلب صفحاً ممن أخطأ إليك ، بل عليك أن تغفر له ليغفر لك الرب خطاياك.

والمصالحة مع الأخ لا تتم بمجرد الذهاب إليه بل بالمصالحة فى الداخل بعواطفك ، **حيث تخضع معتذرا لأخيك فى حضرة الله الذى تريد أن تقدم له قربانك** . وبذلك فإذا كان الأخ الذى أخطأت إليه حاضراً فإنك تستطيع أن تهدئه بفكرك الذى تنقى، وتعيده إلى محبته وعطفه عليك بطلبك المغفرة منه . هذا يمكن أن يحدث إن كنت قد سبقت وانسحقت أمام الله أولا طالباً المغفرة فتذهب إلى أخيك لا بخجل بل مدفوعاً بحب قوى. عندئذ تعود إلى ما سبق أن فكرت فيه ، وهو تقديم قربانك .

٢٨

من يستطيع أن يسلك فى الحياة دون أن يغضب على أخيه باطلا ، أو يقول له « رقا » أو « يا أحمق » ، الأمر الذى يرتكبه

الإنسان بكبرياء! ومن يستطيع إذا سقط في إحدى هذه الاخطاء أن يسأل الصفح - بفكر منسحق - إلا غير المنتفخ بروح الكبرياء الباطل؟! ... لأن الانسحاق هو العلاج الوحيد للغضب «**لذلك طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات**» [1] .

† † †

(١) لاحظ كيف يربط أغسطينوس ترتيب الوصايا بترتيب التطويبات، بعد أن ربط بين التطويبات بعضها البعض ربطاً مسلسلا عجيباً .

الفصل الحادي عشر

٢٩

ارضاء الخصم

كن مراضيا لخصمك سريعا ما دمت معه في الطريق . لئلا يسلمك الى القاضي ويسلمك القاضي الى الشرطي فتلقي في السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير .

لا شك أن القاضي هو المسيح ، « لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن ». (١)

ولا شك أنه يقصد بالشرطي الملائكة ، فقد قيل « ملائكة قد جاءت تخدمه » (٢). إننا نؤمن بمجيئه مع ملائكته ليدين الأحياء والأموات .

وكذلك ما يقصده بالسجن ، إذ من الواضح أنه عقاب الظلمة ، التي دعاها السيد المسيح في عبارة أخرى بـ « الظلمة الخارجية » (٣). لذلك فإنني أعتقد أن التمتع بالجزاء الإلهي يكون داخلياً ، في العقل نفسه ، أو قد يكون أمراً داخلياً أكثر

---

(١) يو ٥ : ٢٢. (٢) مت ٤ : ١١.

(٣) أنظر مت ٨ : ١٢:

من هذا ، وذلك كالفرح الذى قيل للعبد الذى يستحقه « أدخل إلى فرح سيدك » [1] ، هذا الفرح الذى يشبه ما يحدث فى ظل أحكام العالم عندما يخرج الشخص الملقى فى السجن إلى الحرية .

٣٠

ولكن ما معنى إيفاء الفلس الاخير [2] ؟

The uttermost farthing ?

١ ـ لقد ذكر الفلس الأخير لإظهار عدم ترك شيء بدون جزاء ، وذلك كالقول « حتى الثمالة » [3] للتعبير عن شيء إنسكب جميعه حتى آخر نقطة .

٢ ـ أو ذكره ، للتعبير عن الخطايا الارضية . فكلمة ***forthing*** تعنى الجزء الرابع ، والأرض هى الجزء الرابع فى العالم . لأن العالم يتكون من أربعة أجزاء تبدأ بالسماء ، فالهواء ، فالماء وتنتهى بالأرض . لذلك يقصد بالقول « حتى توفى الفلس الاخير » أى الجزء الرابع ، إيفاءً للخطايا الأرضية . لأنه يقال للخاطىء « أنت تراب *earth* وإلى التراب تعود » . [4]

(١) مت ٢٥ : ٢٣ (٢) كلمة *farthing* تعنى الجزء الرابع ، وقد اعتمد أغسطينوس فى تفسيره الثانى على هذا الأصل لمعنى الكلمة.

(٣) ترجمة لـ « *to the very drags* ».

(٤) تك ٣ : ١٩

إننى أعجب إن كان التعبير « حتى توفى » يعنى خروجاً من هناك بعد وفاء الدين ، لأنه لا توجد توبة أو فرصة للعودة إلى حياة صالحة فيما بعد .[1]

ربما التعبير « حتى توفى » يشبه ما جاء فى العبارات التالية :

† (إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك)[2] لأن جلوسه عن اليمين لا يبطل وضع أعدائه تحت قدميه .

† أو ما قاله الرسول (لأنه لا يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه)[3] ، فوضعهم تحت قدميه لا يبطل ملكه .

فكما فهمنا من هذه العبارة أنه يملك إلى الأبد طالما هم تحت

---

(١) لأن الذى يفى الدين هو دم المسيح وحده . . . ذلك الدم الذى يفى عن الذين يؤمنون به إيماناً حياً (عاملاً بالمحبة) ، وإن كان قد قدم الثمن للجميع .

لاحظ كيف يشرح أغسطينوس هذا النص شرحاً رائعاً ، فيقول بأن السجن هو جهنم التى لا يخرج منها الانسان لعدم قدرته على الوفاء بدينه .

هذا هو التفسير الذى يجمع عليه كل آباء الكنيسة ، فالسجن ليس هو المطهر كما يقول الكاثوليك .

(٢) مز ١١٠ : ١ .

(٣) ١ كو ١٥ : ٢٥ .

قدميه إلى الابد ، هكذا نفهم من العبارة « لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير) . أنه لا يخرج قط لأنه يدفع الفلس الأخير دوماً ، طالما يعاقب عقاباً أبدياً عن خطايا أرضية .

وقولنا هذا لا يمنع مناقشة موضوع العقاب أو ما سماه الكتاب المقدس عقاباً أبدياً ، لأنه يمكننى توضيح ذلك وإن كان من الأفضل تجنب بحثه .

٣١

من هو الخصم ؟

لننظر الآن إلى ذلك الخصم الذى أمرنا بمصالحته وإرضائه سريعاً ما دمنا معه فى الطريق ، فهو إما أن يكون : —

١ ـ الشيطان . ٢ ـ إنسان . ٣ ـ الجسد .

٤ ـ الله ٥ ـ وصايا الله .

هل الخصم هو الشيطان ؟

لا أعلم كيف نؤمر بمصالحة الشيطان ، أى يكون لنا قلب واحد وفكر واحد معه . لأن البعض يترجم الكلمة اليونانية الخاصة بالمصالحة على أنها (قلب واحد) ، وآخرون يترجمونها (فكر واحد) .

لا يمكن أن نؤمر بصنع الإحسان مع الشيطان، لأن الإحسان إليه يؤدى إلى صداقة. ولم يقل أحد أن نكون أصدقاء للشيطان، كما لا يليق أن نصنع عهد صلح مع من نعلن ضده الحرب، بل ننال إكليلا متى انتصرنا عليه.

هل هو انسان ؟

أما كونه إنساناً، فرغم ما أمرنا به الكتاب المقدس مسالمة الجميع ما أمكن، الأمر الذى يفهم منه عمل الإحسان للجميع، إلا أننا لا ندرى كيف نقبل فكرة تسليمنا للقاضى بواسطة إنسان. فما دام القاضى هو المسيح الذى يظهر أمام كرسيه جميع البشرية، كقول الرسول [1]، فكيف يستطيع أن يسلمنى من يظهر معى على قدم المساواة ؟

إن كان شخص ما يسلم آخر إلى القاضى بسبب إساءته له، فإن أخطأ الإنسان إلى جماعة، فهل تسلم الجماعة إنساناً ؟!

إذن يليق بالشريعة أن تسلم من أخطأ إليها - بإساءته إلى أخيه - إلى القاضى. ويؤيد هذا أنه لو أخطأ شخص ما فى حق أخيه بقتله، فلا يكون هناك مجال لمصالحته، لأنه ليس معه بعد ذلك فى الطريق، أى فى الحياة. فإن تاب القاتل وهرب إلى الملجأ

(١) أنظر ٢ كو ٥ : ١٠.

(مراحم الله) متقدماً بقلب منكسر إلى الله ، فسيقبله ذاك الذى يغفر خطايا العائدين إليه ، ويفرح بالتائب الواحد أكثر من تسعة وتسعين باراً [1].

هل الخصم هو الجسد ؟

إن إحتمال كون الخصم ، الذى نؤمر بالإحسان إليه ومراضاته والخضوع له هو الجسد ، يعتبر إحتمالا ضعيفاً . لأن من يحب جسده ويرضيه ويخضع له ، بالحرى يكون خاطئاً .

٣٢

هل الخصم هو الله ؟

ربما يفهم ذلك ، لأن الله أمرنا بالخضوع له ومراضاته ، أى مصالحته وإلا طردنا من أمامه لصنعنا الخطية ، وفى هذه الحالة يكون الله خصماً لنا . إذ يقول يعقوب الرسول « يقاوم الله المستكبرون وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » [2]، « والكبرياء أول الخطايا » ، « أول كبرياء الإنسان ارتداده عن الرب » [3] ويقول الرسول « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » [4]...

---

(١) أنظر لو ١٥ : ٧ . (٢) يع ٤ : ٦ .
(٣) حكمة يشوع ١٠ : ١٥ ، ١٤ . (٤) رو ٥ : ١٠ .

لذلك فمن لايتصالح مع الله فى الطريق ، أى فى الحياة الحاضرة ، بموت إبنه ، سيسلمه الآب إلى القاضى . لأن الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن »[1] .

غير أن هذا التفسير قد يشك فى أمره ، لأنه كيف يمكن أن يقال أن الله مع البشر فى هذه الحياة ، وفى نفس الوقت يكون الله خصماً للأشرار ؟ حقاً إنه معنا فى الطريق ، وذلك لوجوده فى كل مكان ، فقد قيل « إن صعدت إلى السموات فأنت هناك . وإن فرشت فى الهاوية فها أنت . إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى وتمسكنى يمينك »[2] فالقول بأن الله مع الأشرار ، قول غير مقبول رغم أن وجود الله لايخلو منه مكان . وذلك كقولنا بأن العمى غير محاطين بالنور مع أن النور يحيط بهم .

بذلك لم يبق أمامنا إلا تفسير واحد وهو أن نفهم أن الخصم هو وصايا الله .

هل الخصم هى وصايا الله ؟

أى شىء سيكون خصماً لمحبى الخطية مثل وصايا الله أى شريعته المدونة فى الكتاب المقدس ، ذلك الكتاب الذى وهب لنا ليكون

(١) يو ٥ : ٢٢ .
(٢) مز ١٣٩ : ٨ ــ ١٠ .

معنا فى الطريق ، أى فى الحياة الحاضرة ، لكى ننفذ تعاليمه سريعاً ولا نخالفها حتى لا يسلمنا إلى القاضى ؟ فعلينا أن نخضع له سريعاً لأنه من يعلم متى نرحل من هذه الحياة ؟ !

من يستطيع أن يخضع للكتاب المقدس غير الذى يقرأه ويستمع له بتقوى، خاضعاً له كما لو كان لسلطان عظيم، غير متضايق مما يجده معارضاً لخطاياه ، بل بالحرى يحبه لأنه يبكته عليها ، ويفرح به لأنه يشفى أمراضه ، ويصلى ليفهم ما بدا له غامضاً أو غير مقبول ، عالماً أنه ينبغى تقديم كل وقار لسلطان كهذا .

من يستطيع أن يفعل هذا إلا الذى يتقدم إلى الكتاب المقدس فى وداعة التقوى ليعرف إرادة الله ويثبتها من غير جدال سقيم ؟! لذلك **« طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض »** .

† † †

الفصل الثانى عشر

٣٣

الزنا والشهوة

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه .

البر الأصغر هو عدم الزنا بالفعل ، أما بر ملكوت الله الأعظم فهو عدم إرتكاب الزنا ، ثم جاءت الوصية الأخيرة مثبتة للأولى ، لأنه ما جاء الرب ناقضاً بل مكملا للناموس .

يجب أن نلاحظ أنه لم يقل « من إشتهى امرأة » بل « من ينظر إلى امرأة ليشتهيها » أى ينظر إليها بهذه النية ، فهذه النظرة ليست إثارة للذة الجسدية بل تنفيذاً لها ، لأنه بالرغم من ضبطها فستتم لو سمحت الظروف بذلك .

٣٤

مراحل الخطية

فالخطية تكمل على ثلاثة مراحل : إثارتها ، التلذذ بها ، ثم إرضائها (تنفيذها) .

فالإثارة تحدث عن طريق الذاكرة أو الحواس كالنظر أو

السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس . فإن نتج عن هذه لذة لزم ضبطها ، فلو كنا صائمين ، فبرؤيتنا للطعام تثور شهوة التذوق ، وهذه الشهوة تنتج لذة . فعلينا ألا نرضيها بل نضبطها إن كان لعقلنا ، الذى يمنعنا من ارضائها ، السيادة . أما إذا أرضيناها فستكون الخطية قد كملت فى القلب ، فيعلم بها الله ولو لم يعلم بها البشـــر .

إذن هذه هى خطوات الخطية : ـ

تتسلل الإثارة بواسطة الحواس الجسدانية ، كما تسللت الحية فى إثارة حواء ، لأنه حيثما تسربت الأفكار والتصورات الخاطئة إلى نفوسنا ، تكون نابعة من الخارج ، من الحواس الجسدية . وان أدركت الروح أى إحساس خفى عن غير طريق هذه الحواس الخمسة ، كان هذا الإحساس مؤقتاً وزائلا . فتتسلل هذه التصورات إلى الفكر فى دهاء الحية .

إن مراحل الخطية الثلاث تشبه سقوط الإنسان الوارد فى سفر التكوين . فتأتى الإثارة من الخارج من الحواس كما أحدثتها الحية . أما التلذذ بالخطية فيحدث فى الشهوة الجسدية مثل ما تلذذت حواء أما إرضاء الخطية فيحدث فى العقل كما فى آدم . ولسبب الخطية طرد الانسان من الفردوس ، أى من نور البر الأعظم ، إلى الموت .

من يقدم اللذة لا يجبر الانسان على قبولهـا ، فعلى الانسان ألا ينزل من مرتبته السامية ، التى فيها يكون للعقل السيادة ، إلى مرتبة أدنى ، لأن الله خلق الانسان فى مرتبة أسمى من الحيوان . فالانسان لايجبر على قبول اللذة ، فإن قبلها عوقب بواسطة شريعة الله العادلة ، لأنه أخطأ بإرادته .

على أنه ، قبل أن تتحول الخطية إلى عادة لا يكون فيها لذة ، أو تكون بصورة بسيطة يستهان بها ، ويكون الخضوع لها خطية عظيمة ما دامت هذه اللذة محرمة . لأن من يستسلم لها يصنع الشر فى قلبه. وبعد الاستسلام لها وتنفيذها يخيل له أنه قد أشبع رغبته والأمر قد إنتهى ، ولكن متى عاد مايثيرها مرة أخرى ، أثيرت اللذة بصورة أشد من الأولى ، ومع ذلك فهى أقل من اللذة التى تنتج عن العادة . إن اللذة فى المرة الثانية يصعب الانتصار عليها ، ومع ذلك فإذا كان مخلصاً لنفسه ، مستعداً للحرب الروحيـــة فسيشفى منها ، بل ومن العادة أيضاً . وذلك بمعونة مسيحه قائد المعركة الروحية. وبذلك يخضع الرجل للسيح والمرأة للرجل[1] وذلك بحسب الترتيب الطبيعى .

---

(١) أنظر ١ كو ١١ : ٣ ، أف ٥ : ٢٣ .

٣٥

أنواع الخطية

كما أن للخطية مراحل ثلاث أى الإثارة ـ اللذة ـ إرضاؤها، هكذا تنقسم الخطية إلى أنواع ثلاث : خطية فى القلب ، بالعمل ، بالعادة . الأصناف الثلاثة تشبه ثلاثة أموات : ـ

١ ـ الميت الأول كما لو كان فى المنزل ولم يحمل بعد ، وذلك عند إرضاء الشهوة فى القلب .

٢ ـ الميت الثانى كما لو كان قد حمل خارج المنزل، وذلك عندما يبلغ الرضا حد التنفيذ (دون أن تكون الخطية قد صارت عادة بعد)

٣ ـ الميت الثالث كما لو كان فى القبر فاسداً (أنتن) وذلك عندما تكون الخطية قد بلغت حد العادة .

ونرى فى الانجيل أن الرب أقام هذه الأنواع الثلاثة من الأموات، مستخدماً عبارات مختلفة عند إقامتهم. ففى الحالة الأولى قال « طليثا قومى »[١]، وفى الثانية « أيها الشاب لك أقول قم»[٢] وأما فى الثالثة فقد انزعج بالروح وبكى وبعد ذلك « صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً »[٣].

---

(١) مر ٥ : ٢٣.	(٢) لو ٧ : ١٤.

(٣) يو ١١ : ٣٣ ـ ٤٤ .

٣٦

يفهم من الزنا جميع الشهوات الجسدية والحيوانية. فالكتاب المقدس يتحدث عن عبادة الأوثان كزنا، ويدعو الرسول بولس الطمع عبادة أوثان، وبالتالى يكون زناً.

اذن كل شهوة شريرة تدعى بحق زنا لأن الروح تفسد بتركها الشريعة السامية التى تحكمها وتبيع عرضها بشهوة دنيئة لا تتناسب وسمو الروح !!

لذلك ليت كل من يشعر باللذة الجسدية، عاصياً الرغبة الخيرة التى فيه، مأسوراً بالخطية، يتذكر قدر استطاعته أى سلام يفقده بواسطة الخطية، فيصرخ « ويحى أنا الانسان الشقى. من ينقذنى من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح »[١] فإذ يصرخ بشقاوته، يطلب معونة المعزى. وإذ يعرف شقاوته يكون اقترابه للتطويب غير بعيد، لذلك « **طوبى للحزانى لأنهم يتعزون** ».

† † †

---

(١) رو ٧ : ٢٤ ، ٢٥ .

الفصل الثالث عشر

٣٧

العثرة

فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

إننا نحتاج إلى شجاعة عظيمة لقطع أحد أعضائنا ، لذلك فهو يقصد بالعين شيئاً محبوباً للغاية فلقد اعتاد الراغب فى التعبير عن محبته لآخر أن يقول « إنى أحبه كعينى أو حتى أكثر من عينى » . لذلك ربما قصد الرب من العين شدة المحبة .

بالرغم من أن لكلا العينين عملا متساوياً ، إلا أن البشر يخشون فقدان العين اليمنى . وعلى هذا يكون معنى العبارة السابقة أنه إذا أعثرك شيء ما تحبه ـ كعينك اليمنى ـ فى الطريق ، اقلعه والقه عنك ، لأنه خير لك أن يهلك شيء من الأشياء التى تحبها وتتمسك بها كعضو من أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

٣٨

أردف الرب بعد ذلك بعبارة مماثلة تخص اليد اليمنى :

وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .

بقوله هذا يجبرنا أن نبحث ما قاله عن العين اليمنى بأكثر تدقيق . وليس هناك تفسير للعين اليمنى أكثر ملاءمة من أن يقصد بها الصديق المحبوب حباً شديداً ، الذى تصبح علاقته كعلاقة العضو بالجسد . هذا الصديق يكون مشيراً حكيماً لصاحبه كما لو كان عيناً يرى بها الطريق ، ويكون مشيراً مخلصاً فى الأمور الإلهية ، لأنه عين يمنى . أما العين اليسرى فتشير إلى صديق يشير فى الأمور الخاصة باحتياجات الجسد ، الذى يلزم الحديث عنه كعثرة مادامت العين اليمنى أهم من اليسرى (أى أنه إذا أعثرتنا العين اليمنى نقلعها ، فكم تكون اليسرى إذا أعثرتنا) . ويكون المشير (العين) عثرة إذا قاد صاحبه إلى هرطقة خطيرة فى زى التدين والتعليم .

أما اليد اليمنى فإنها تشير إلى الشخص الذى يساعد ويعمل فى الأمور الروحية ، فالتبصر فى الأمور الروحية له مكانته فى العين كذلك العمل فى الأمور الروحية له مكانته فى اليد اليمنى ، وبالتالى فاليد اليسرى تعنى الأعمال الضرورية لاحتياجات الجسد .

† † †

الفصل الرابع عشر

٣٩

الطلاق .

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . أما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى . ومن يتزوج بمطلقة فانه يزنى .

فالشريعة الموسوية لم تأمر بالطلاق ، بل أمرت من يطلق إمرأته أن يعطيها كتاب طلاق ، لأن فى اعطائها كتاب طلاق ما يهدىء من ثورة غضب الانسان . فالرب الذى أمر قساة القلوب بإعطاء كتاب طلاق أشار إلى عدم رغبته فى الطلاق ما أمكن .

لذلك عندما سئل الرب نفسه عن هذا الأمر أجاب قائلاً « إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم »[1] ، لأنه مهما بلغت قسوة قلب الراغب فى طلاق زوجته ، إذ يعرف أنها بواسطة كتاب الطلاق تستطيع أن تتزوج من آخر ، لذلك يهدأ غضبه ولا يطلقها .

---

(١) مت ١٩ : ٨ .

ولكنما يؤكد رب المجـــد هذا المبدأ ـ وهو عـدم طلاق الزوجة باستهتار ـ جعل الاستثناء الوحيـد هو علة الزنا . فقد أمر بضرورة إحتمال جميع المتاعب الأخرى (غير الزنا) بثبات من أجل المحبـة الزوجية ولأجل العفـة . وقد أكد رب المجد نفس المبدأ بدعوته من يتزوج بمطلقة زانياً .

شرح الرسول هذا الأمر قائلاً بأن الزوجة تكون مرتبطة مادام رجلها حياً ، ولـكن إن مات رجلها فيسمح لها بالزواج . وفى هـذه المسألة لم يذكر الرسـول رأيه الخاص ـ كما فى بعض نصائحه ـ بل يوصى بأمر الرب ، وذلك بقوله « وأما المتزوجين فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، ولا يترك الرجل إمرأته »[1]. أعتقد أنه بنفس القاعدة إذا ترك الرجل زوجتـه . ربما أن الترك يـكون بسبب الزنا ـ ذلك الاسـتثناء الوحيد الذى أراده الرب ـ **لذلك فلا يسمح للمرأة أن تتزوج مادام رجلها حيا ولاللرجل أن يتزوج مادامت المرأة التى طلقهاحية**

حقاً لتعتبر زيجات مبـاركة بالأكثر تلك التى يستطيع فيها كلا الطرفين ، سواء بعد إنجاب الأطفال أو قبل الإنجاب لعدم الاهتمام بأن يكون لهما نسل أرضى ، أن يتفقـا إتفـاقاً مشتركا على الإمتناع تلقائيـاً كل عن الآخر . على أنه ينبغى أن يـكون

(١) رو ٧ : ٢ ، ٣ .

ولكنما يؤكد رب المجـــد هذا المبدأ - وهو عـدم طلاق الزوجة باستهتار - جعل الاستثناء الوحيـد هو علة الزنا . فقد أمر بضرورة إحتمال جميع المتاعب الأخرى (غير الزنا) بثبات من أجل المحبـة الزوجية ولأجل العفـة . وقد أكد رب المجد نفس المبدأ بدعوته من يتزوج بمطلقة زانياً .

شرح الرسول هذا الأمر قائلاً بأن الزوجة تكون مرتبطة مادام رجلها حياً ، ولـكن إن مات رجلها فيسمح لها بالزواج . وفى هـذه المسألة لم يذكر الرسـول رأيه الخاص - كما فى بعض نصائحه - بل يوصى بأمر الرب ، وذلك بقوله « وأما المتزوجين فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، ولا يترك الرجل إمرأته » [1] . أعتقد أنه بنفس القاعدة إذا ترك الرجل زوجتـه . ربما أن الترك يـكون بـسبب الزنا - ذلك الاسـتثناء الوحيد الذى أراده الرب - **لذلك فلا يسمح للمرأة أن تتزوج مادام رجلها حيا ولاللرجل أن يتزوج مادامت المرأة التى طلقها حية**

حقاً لتعتبر زيجات مبـاركة بالأكثر تلك التى يستطيع فيها كلا الطرفين ، سواء بعد إنجاب الأطفال أو قبل الإنجاب لعدم الاهتمام بأن يكون لهما نسل أرضى ، أن يتفقـا إتفـاقاً مشتركاً على الإمتناع تلقائيـاً كل عن الآخر . على أنه ينبغى أن يـكون

(١) رو ٧ : ٢ ، ٣ .

الاتفاق برضى الاثنين ، حتى لا ينتج عن ذلك ترك الواحد للآخر (دون إرادة الثانى) فيخالف وصية الرب التى لا تسمح بالترك . فإن إتفق كليهما معاً فسيحيا حياة روحية لا جسدية وبالتالى لا يكون قد طلقها .

تعليق

لقد ذاق أغسطينوس مرارة الزنا والشر حتى بلغ سن الثالثة والثلاثين من عمره وتمتع بحلاوة العفة والطهارة ، وقد تحولت أحاسيسه وعواطفه نحو محبة إلهه ... إنه يرى المسيح الأساس الحقيقى الذى تبنى عليه حياتنا وأفكارنا وتصرفاتنا كبيرها وصغيرها . لذلك لا يرى فى الزواج مجرد اتحاد جسدى يهدف لإشباع غريزة جنسية **بل اتحادا جسديا وروحيا** مع اتحادهما بالمسيح ، فعلاقة الزوج بزوجته ليست مجرد علاقة جنسية بل علاقة محبة كعلاقة المسيح بعروسه « الكنيسة » ، كقول الرسول « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها » . (اف ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

فالذى يربط الزوجين ويوحدهما هو **الروح القدس لا الشهوة** ، لذلك إن كان الزواج صحيحاً فلا يمكن أن يحله أمر من الأمور سوى الزناء ذلك الاستثناء الذى سمح به المسيح . وفى هذا يقول القديس أغناطيوس الشهيد « يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجروا اتحادهم برأى الأسقف لكى يكون الزواج مطابقاً لإرادة الله **لا بحسب الشهوة** » رسالة

لا بكونه دنسا أو نجسا - بل يشبه الامتناع عن الأطعمة (الصوم) وذلك للتفرغ للعبادة ويشترط فى ذلك الزوجين معاً حتى لا يعثر أحـدهما . هذه المناسبات هى :-

١ - ليلة التناول من الأسرار الإلهية .

٢ - أيام الصوم .

٣ - أيام الآحاد لأنها أيام مقدسة للرب يتفرغون فيها للعبادة .

٤ - يوم الزواج وذلك لتناولهما من الأسرار الإلهية... وحتى يشعرا بان الهدف من زواجهما ليس مجرد اشباع الغريزة الجنسية بل المحبة أولا فى المسيح يسوع .

† † †

الفصل الخامس عشر

٤٠

لقد حيرت العبارة التالية صغار النفوس المشتاقين للحياة بحسب وصايا المسيح . **ان كان احد يأتى الى ولا يبغض اباه وامه وامرأته واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا »** (١)

قد يبدو لناقصى الفهم أن هذه العبـارة تناقض منع طلاق الزوجة لغير علة الزنا . ففى الموعظة على الجبل يطالب الله بعدم الطلاق إلا لعـلة الزنا ، بينما فى هذه العبارة يريد من تابعيه أن يبغضوا زوجاتهم .

إلا أننا ندرك أن حديثه فى هذه العبارة لا يختص بالعلاقات الجنسية، وإلا فما الداعى لذكر الآب والأم والإخوة فى نفس الأمر بل بالحقيقة «ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه» (٢) يا لعظم هذا الاغتصاب الذى فيه يحب الإنسـان عدوه ويبغض أباه وأمه وزوجتـه وأولاده وأخواته !!! إن الذى دعانا إلى ملكوت السموات أمرنا بهذه الوصـايا جميعاً ، ولكن كيف لا تناقض هذه الوصـايا بعضها البعض ؟! يستطيع رب المجد أن

---

(١) لو ١٤ : ٢٦ . (٢) مت ١١ : ٢٢ .

يوضحها لنا بسهولة ، ومع ذلك لا نستطيع تنفيذها وحدنا ، مع أنه بالسيد المسيح يسهل تنفيذها .

لا يوجد فى ملكوت السموات قرابات زمنية من هذا النوع « لأنه ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى » [1] « بل المسيح الكل فى الكل » [2] ويقول الرب نفسه « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » [3] . لذلك فعلى راغبى ملكوت السماء ألا يبغضوا الأشخاص فى ذواتهم ، بل تلك العلاقات الزمنية العابرة التى جاءت نتيجة الولادة الجسدية والموت ، هذان الأمران اللذان يربطان الجماعات فى الزيجات الأرضية [4].

---

(١) غلا ٣ : ٢٨ . (٢) كو ٣ : ١١ .
(٣) مت ٢٢ : ٣ .

(٤) لقد أدرك أغسطينوس محبة أمه له وصلواته وجهادها الطويل ودموعها المنسكبة بغزارة ليلا ونهاراً ، وأسفارها الطويلة لأجل عودته الى الله وتوبته . إنه يرجو لو تحولت كل علاقات الأمومة والأبوة والأخوة الى مثل هذه العلاقة الملتهبة بالحب المقدس ، فيسعى بكل جهده من أجل بلوغ أقربائه ملكوت السموات معه ... فتكون الرابطة بينهما هى رباط المحبة المتدفقة لخلاص النفس ووصولها الى المسيح ... فيردد مع السيد المسيح « لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى » مر ٣ : ٣٥ . فلا تقف هذه القرابات حائلا عن الوصول الى المسيح .

٤١

فلو سألنا مسيحياً صالحاً له زوجة، وقد يكون لديه أبناء منها عما إذا كان يرغب فى أن تكون له علاقة جسدية بزوجته فى ملكوت السموات ، فإنه رغم محبته لزوجته فى الحياة الحاضرة وارتباطه بها ، سيجيب بلا تردد رافضاً بشدة أن تكون علاقته بها فى السماء علاقة جسدية ، لأنه يهتم بتلك الحياة التى فيها يلبس الفاسد عدم فساد وهذا المائت عدم موت [1] .

هل لى أن أسأله مرة أخرى عما إذا كان يرغب فى أن تكون زوجته معه بعد القيامة هناك ، حيث يكون لها ذلك التغير الملائكى الذى وعد به الرب القديسين ، فإنه سيجيب بالإيجاب بشدة ، قدر ما رفض بشدة فى الحالة الأولى .

لهذا ما يحبه المسيحى الصالح فى المرأة هو كونها مخلوق إلهى ، هذه التى يرغب لها التجديد والتغير دون أن يهتم بالعلاقة الشهوانية [2] .

---

(١) أنظر ١ كو ١٥ : ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) افهم من أقوال أغسطينوس أن على الزوجين أن يحبا بعضهما البعض ويهتم كل منهما بالحياة الروحية للآخر فلا تكون علاقتهما ببعض بمجرد اتصال جسدى ، سوف ينتهى ويزول بزوال العالم ... وذلك كنظرتنا إلى الطعام ، فهو ليس بالشىء المحرم أو النجس ومع ذلك فينبغى ألا يكون هدفا لنا .

وبنفس الطريقة يحب الانسان عدوه . لا لأجل عداوته له بل لكونه إنساناً يرغب له نفس النجاح الذى يريده لنفسه ، أى بلوغ ملكوت السموات .

وهذا ما ينطبق أيضاً على الأبوة والأمومة وبقية العلاقات الجسدية ، فنبغض فيهم العلاقات الجسدية ، بقدر ما نحب كل ما يؤدى بهم إلى الوصول لملكوت السموات . فهناك لا نقول لأحد « أبى » بل جميعنا نقول لله « أبانا » ، ولا نقول لأحد « أمى » بل نقول جميعنا لأورشليم السماوية « أمنا » ، ولا نقول لأحد « أخى » بل يقول كل للآخر « أخانا » .

حقا سيكون هناك زواج من جانبنا إذ نتقدم جميعاً كزوجة واحده لذاك الذى خلصنا من نجاسة هذا العالم بسفك دمه، لذلك يلزم لتلميذ المسيح أن يكره تلك الأمور الزائلة المتعلقة بأقربائه ، وبقدر كراهيته لهذه الأمور قدر ما يحب أشخاصهم ، راجياً لهم حياة أبدية .

= لأنه طعام فاسد لايبقى الى الأبد .

فالزواج سر مقدس له كرامته وقدسيته لأن مؤسسه رب المجد نفسه . ويقول عنه أغسطينوس نفسه « إن قداسة السر، لها فى زيجتنا (المسيحية) قوة أكثر من قوة ثمرة الأولاد فى الدم » (فى الزيجة ١٨ : ٢١ ، ٢٤ : ٣٢) .

٤٢

لذلك قد يحيا المسيحى فى وفاق مع زوجته، إما لأجل الشهوة الجسدية التى سمح بها الرسول دون أن يأمر بها، أو لانجاب الأطفال الأمر الذى يستحق المدح فى الحياة الحاضرة، أو لصداقتها كأخت بدون أى اتصال جسدى، فتكون له زوجته وكأنها ليست له. هذا الأمر ممتاز وجليل فى المسيحية إذ فيه لا يهتم بالعلاقة الزمنية بل يحب البركات الأبدية.

فلكى نحب البركات الأبدية - وجب علينا ألا نهتم بالأشياء التى اشتياقنا لها أقل، تلك التى بعد قليل ستنتهى وتضمحل. مثال ذلك إن كنا لا نبغض حياتنا فى العالم الحاضر لأنها زمنية فلا نشتاق للحياة المقبلة الأبدية.

أما كلمة « نفسه » فى العبارة « إن كان أحد ... لا يبغض حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً »[1]، تعنى « الحياة الزمنية »؛ التى قال عنها السيد المسيح أنه يلزمها الطعام الفاسد. أليست الحياة أفضل من الطعام ؟[2]. أى يقصد « بالنفس» الحياة الزمنية التى تحتاج للطعام.

كذلك عندما يقول أنه يضع نفسه عن خرافه : يقصد أيضاً حياته الأرضية مؤكداً ذلك بموته على الصليب لأجل خرافه.

---

(١) لو ١٤ : ٢٦ .　(٢) مت ٦ : ٢٥ .

الفصل السادس عشر

٤٣

يسمح الله بتطليق الزوجة بسبب الزنا، لكن ماذا يقصد هنا بالزنا ؟ هل يقصد المعنى العام الذى نفهمه ، أى ارتكاب النجاسة؛ أم المعنى الذى يستخدمه الكتاب المقدس عند حديثه عن الأمور المحرمة كعبادة الأوثان والطمع . وبذلك يكون الزنا هو كل تعد على الناموس بسبب الشهوة الشريرة . ولكى نكون مدققين نفحص رأى الرسول عندما يقول « وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو تصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته »[1] . فقد يحدث أن تفارقه بسبب الزنا ، لأنه لا يجوز لها تركه إلا لهذا السبب ، كالرجل الذى لا يترك زوجته إلا لنفس العلة ، وإلا فما الداعى أن يكمل الرسول قائلا « لا يترك الرجل امرأته » . فالرسول لم يضف « لعلة الزنا » التى سمح بها رب المجد ، لأنها مفهومة ضمناً أن الترك لعلة الزنا ، فيخضع الرجل للقاعدة التى

---

(١) ١ كو ٧ : ١٠ .

لاحظ أن أغسطينوس يفسر الترك على أنه التطليق .

تخضع لها المرأة،فإذا ترك زوجته (لعلة الزنا) يلبث غير متزوج أو يصالح زوجته .لأنه ليس بالأمر الشرير أن يصطلح مع امرأته التى زنت ، مثل تلك المرأة التى لم يجرؤ أحد على رجمها ، والتى قال لها الرب « إذهبي ولا تخطئى أيضاً »[1]. لذلك نجد أن الرب أجبر الزوج على عدم تطليق زوجته لغير علة الزنا ، أما فى حالة الزنا فلا يأمره بتطليقها بل سمح له بذلك . وهذا يشبه القول بالسماح للمرأة أن تتزوج بعد وفاة زوجها ، فإن تزوجت قبل وفاته تكون مخطئة ، أما إذا لم تتزوج بعد وفاته فلا تكون مخطئة لأنها لم تؤمر بالزواج بل يسمح لها بذلك .

نلاحظ أن فى شريعة الزواج يخضع الرجل لنفس القواعد التى فرضت على المرأة . فعندما يحدث الرسول المرأة « ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل»[2] ، يحدث الرجل أيضاً « وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة » . فما دامت القواعد بينهما متشابهة ، لذلك لا يجوز للمرأة أن تترك رجلها إلا لعلة الزنا كالرجل تماماً .

٤٤

هل عبادة الأوثان زنا ؟

لنفهم ماذا يقصد من كلمة « زناً » مستشيرين فى ذلك الرسول

(١) يو ٨ : ١١ .
(٢) ١ كو ٧ : ٤ .

الذى قال « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب » . فقبلاً كان يتحدث مع المتزوجين بأمر الرب وأما الآن فيحدث الباقين كما من نفسه ، فمن هم هؤلاء الباقون ؟ هل هم غير المتزوجين ؟! إن ماجاء فى حديث الرسول بعد ذلك لا يؤيد كونهم غير متزوجين لأنه أكمل قائلا « إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها » . فلم يزل بعد يحدث المتزوجين . إذاً ماذا يقصد بالباقين سوى أنه كان قبلا يحدث المتزوجين المؤمنين ، أى كلا الزوجين مؤمناً ، وأما الآن فيحدث الباقين أى المتزوجين الذين آمن أحدهم دون الآخر ؟!

ماذا يقول لهم ؟ « إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه » . فالرسول لم يأت بوصية الرب بل يقدم نصيحة كما من نفسه ، حتى إذا خالف أحد هذه النصيحة لا يكون متعدياً على وصية الرب ، ومن نفذها يكون قد عمل عملا حسناً . وهذا الأمر يشبه تقديمه النصيحة للعذارى دون أن تكون وصية ، ممتدحاً البتولية . فمن يقبل نصيحته ينتفع بها ، ومن لا يقبلها لا يكون قد تعدى وصية إلهية . فهناك فارق بين الوصية والنصيحة والسماح .

الوصية : فالمرأة توصى بعدم مفارقتها لرجلها. فإن فارقته تبقى غير متزوجة أو تصالح رجلها .

النصيحة: ينصح الرسول المؤمن أن لا يترك امرأته غير المؤمنة إن كانت ترتضى السكنى معه ، لذلك يجوز له أن يتركها... كذلك ينصح العذراء بالبتولية ، فإن تزوجت لم تكن قد سمعت لنصيحة الرسول ، ولكنها لا تكون قد خالفت الوصية . وقد أعطى السماح بذلك بقوله « ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر » .

فإن كان يجوز للرجل ترك المرأة إن كانت غير مؤمنة، بالرغم من أنه يستحسن عدم تركها ؛ كذلك لا يجوز له ترك زوجته إن كانت مؤمنة إلا لعلة الزنا . بهذا يكون عدم إيمانها ذاته هو زنا، لأن كلا الأمرين يجيزان له تركها .

٤٥

ماذا تقول أيها الرسول ؟ هل لا يترك المؤمن زوجته غير المؤمنة التى ترتضى السكنى معه ؟ يجيب بالايجاب . فلماذا تقول « أقول لهم أنا لا الرب » ، مع أن الرب نفسه أوصى بعدم ترك المرأة إلا لعلة الزنا ؟!

يجيب الرسول : إن عبادة الاوثان والخرافات المهلكة التى

بتبعها غير المؤمنين هي زنا . وقد سمح الرب بترك المرأة بسبب الزنا دون أن يأمر بضرورة تركها ، تاركاً للرسول فرصة ليوصى بعدم ترك الرجل لامرأته غير المؤمنة. والحكمة من وصية الرسول هو أن عدم تركها قد يترك لها فرصة للايمان . فيقول « لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل [1] .

أظن ان بعض النساء صرن مؤمنات بواسطة أزواجهن المؤمنين كما صار بعض الرجال مؤمنين بواسطة زوجاتهن المؤمنات .

لم يؤيد الرسول نصيحته بذكر أسماء بل بأمثلة قائلا « وإلا فأولادكم نجسون. وأما الآن فهم مقدسون » . لأن أولادكم الآن مسيحيون ، هؤلاء الذين تقدسوا بسبب إيمان الوالدين أو كليهما معاً . وقداسة هؤلاء الأولاد لم تكن تحدث لو انهار الزواج بإيمان أحد الزوجين (أى ترك الطرف الآخر لعدم إيمانه) ولكن المؤمن احتمل غير المؤمن تاركاً له مجالا للايمان. واحتمال الضعفاء هذا من مشورة الرب إذ يقول « ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أرفيك » [2] .

(١) ١ كو ٧ : ١٤ .

(٢) لو ١٠ : ٣٥ .

* بند ٤٦ لم يترجم .

٤٧

ولكنه عندما يقول « **الا لعلة الزنا** » لم يذكر زنا أى الطرفين ، **هل** زنا الرجل أم زنا المرأة ؟ لانه لم يسمح بترك الزوجة الزانية فحسب ، بل وتلك التى تجعل زوجها يزنى . مثال ذلك إن كانت المرأة تجبره على عبادة الاوثان ، فسيتركها بسبب الزنا ، ليس من جانبها فحسب بارتكابها الزنا ، بل ومن جانبه أيضاً حتى لا يرتكب الزنا .

إنه لظلم شديد أن يسمح للرجل بترك زوجته الزانية إن كان هو أيضاً زانياً . «لانك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك . لانك أنت الذى تدين تفعل هذه الامور عينها»[1] لذلك يشترط فى الراغب فى ترك زوجته بسبب الزنا ألا يكون زانياً . والامر عينه يكون بالنسبة للمرأة .

من يتزوج بمطلقة فهو يزنى

قد تسأل عما إذا كانت تعتبر المرأة المطلقة زانية كزوجها الجديد ؟ لقد أمرها الرسول ألا تتزوج أو تصالح زوجها . ولكن هذا يحدث لو كانت **هى** تركته . لان هناك فارق بين تركها

---

(١) رو ٢ : ١ .

لزوجها وبين كون زوجها يتركها . فإن تركت زوجها وتزوجت بآخر ، بدا أنها تركت الأول لأجل رغبتها فى الزواج بالثانى ، وهذا بلا شك زنا .

أما إذا كان زوجها تركها مع أنها ترغب فى البقاء معه، فإن من يتزوجها يكون زانياً ، كقول الرب نفسه . أما بالنسبة لها فهل تعتبر زانية ؟

قد يبدو ان الرجل وحده زانياً لمخالفته للوصية ، أما المرأة فغير زانية، ولكن لأن المرأة كانت الوسيلة فى جعل الرجل الثانى زانياً فهى زانية .

من هذا نستنتج أنه ينبغى للمطلقة سواء هى تركت زوجها أو زوجها هو الذى تركها ، ألا تتزوج أو لتصالح رجلها * .

† † †

* البندان ٤٩ ، ٥٠ لم يترجما وهما يخصان بعض الأسئلة المتعلقة بالزواج .

الفصل السابع عشر

٥١

القسم

أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة . لا بالسماء لأنها كرسى الله . ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم . ولا تحلف برأسك لانك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير .

بر الفريسيين عدم الحنث بالقسم، أما بر ملكوت السموات فهو عدم القسم البتة ، وبالتالى عدم الحنث بالقسم. فالذى لا يتكلم قط لا يتكلم باطلا ، هكذا من لا يحلف قط لا يحنث بقسم أبداً.

ولكن ماذا نقول عن الرسول بولس الذى كثيراً ما يجعل الله شاهداً على صدق أقواله . إذ يقول : ـ

† « والذى أكتب به إليكم ، هوذا **قدام الله** أنى لست أكذب فيه »[1] .

---

(١) غلا ١ : ٢٠ .

† « الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى هو مبارك إلى الأبد يعلم انى لست أكذب »[1].

† « فإن الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه شاهداً لى كيف بلا انقطاع أذكركم »[2].

إنه من المضحك أن نقول بأن الرسول لم يقسم، لأنه لم ينطق بكلمات القسم مثل « بالله » بل قال « الله شاهد » ، وحتى لا يظن أحد أن هناك خلافاً بين التعبيرين، أقول لقليلى الفهم بأن الرسول أقسم بهذه الطريقة أيضاً ، إذ يقول انى بافتخاركم ... أموت كل يوم »[3]. لا يظن أحد أن الرسول قصد بهذه العبارة أن افتخارهم يجعله يموت كل يوم . والذى يحسم النزاع فى هذا الأمر هو النص اليونانى لكلمة « بافتخاركم » حيث تعتبر إصطلاحاً يعبر به عن القسم .

لهذا فإن رب المجد أمر بعدم القسم ، حتى لا يسعى أحد إلى القسم كأنه شىء صالح، لأن فى سعيه هكذا يعتاد على القسم وبالتالى يحنث بقسمه .

لذلك فمن يفهم « القسم » على أنه ليس أمراً صالحاً ، بل

(١) ٢ كو ١١ : ٣١ .   (٢) رو ١ : ١٩.
(٣) ١ كو ١٥ : ٣١ .

يستخدمه للضــــرورة القصوى ، أن يكف ما استطاع عنه ، ولا يتفوه به إلا فى حالة الضرورة القصـــوى ، حين لا يصدقه المستمعون له بدون قسم ، ويكون حديثه نافعاً لهم (أى ليس لفائدة من يقسم بل للمستمعين) . وقد أشار رب المجد إلى ذلك بقوله « ليكن كلامكم نعم نعم لا لا » فمن يقول هكذا يكون قد صنع شيئاً صالحاً ، لأن « ما زاد عن ذلك فهو من الشرير » أى لا ينطق بالقسم إلا فى حالة الضرورة **النابعة من الشرير** ، أى الناتجة عن ضعف الآخرين ونحن نصلى يومياً لكى ينجينا الرب من الشرير[1] .

إن رب المجد لم يقل « ما زاد عن ذلك شرير » ، لأن من يقسم لا يكون قد صنع شراً ، إذ القسم فى ذاته ليس صلاحاً ولا شراً ، وإنما ضرورة لإقناع الضعفاء من أجل نفعهم ، بل قال **فهو من الشرير** أى ناتج عن شر من يقسم لأجله .

لا يستطيع أحد غير المختبرين أن يدرك صعوبة التخلص من عادة القسم ، وأن يدرك كيف يصعب على من اعتاد على القسم ألا يقسم بتهور .

---

(١) أنظر مت ٦ : ١٣ .

٥٢

لكننا قد نسأل: لماذا أضاف رب المجد إلى قوله «وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا» ، «لا بالسماء لأنها كرسى الله ... إلى قوله ولا تحلف برأسك؟».

أظن أن السبب فى هذه الإضافة هو أن اليهود كانوا يعتبرون أن من يقسم بهذه الامور لا يكون قد ارتبط بقسم أمام الله. رغم ما جاء فى الشريعة «أوف للرب **اقسامك**». فإن أقسموا بالسماء أو الارض أو أورشليم أو رؤوسهم ظنوا أنهم لا يرتبطون بقسم أمام الله. هذا الخطأ لم ينتج عن الوصية بل عن عدم فهمهم لها فهماً صحيحاً. لذلك أخبرهم رب المجد أنه لا يوجد بين مخلوقات الله ما هو ليس بذى قيمة، حتى يظن أحد أنه يمكنه القسم بها باطلا. فخليقة الله من أعلى السماء إلى أسفل الأرض، من عرش الله إلى الشعرة البيضاء أو السوداء ... جميعها تحكمها العناية الإلهية.

لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالارض لانها موطىء قدميه.

إن أقسمت بالسماء أو بالأرض فلا تظن أنك لم ترتبط بقسمك أمام الله، لأنك ارتبطت بالذى له السماء كرسياً والأرض موطئاً لقدميه.

ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم

هذا التعبير أجمل من القول « مدينتي » بالرغم من أن رب المجد يقصد ذلك ضمناً ... فمن يقسم بأورشليم يرتبط أمام الرب الملك العظيم.

ولا تحلف برأسك

أى شيء يعتبره الإنسان ملكاً له أكثر من رأسه ؟! ولكن كيف تكون ملكاً لنا، مادام ليس لنا سلطان لجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ؟! لذلك فمن يقسم برأسه يرتبط بالقسم أمام الله، الذى له السلطان على كل شيء بطريقة غير منطوق بها.

وهكذا نفهم بقية أنواع القسم الأخرى التى لا يمكن حصرها، كالقسم الذى نطق به الرسول « **انى بافتخاركم** ... أموت كل يوم» وحتى تدركوا كيف ارتبط الرسول بالقسم أمام الله، نجده أضاف « الذى لى فى يسوع المسيح »[1].

٥٣

أريد أن أبدى ملاحظة للجسدانيين، أنه لا ينبغى لنا أن نظن أن السماء دعيت كرسى الله والأرض موطىء قدميه، على أن الله له أعضاء جسدية مثلنا، يجلس بها فى السماء وعلى الأرض وذلك

---

(١) ١ كو ١٥ : ٣١.

كما يحدث عند جلوسنا ، بل يقصد بالكرسى « الحكم » . فى نظام العالم الكامل نجد للسماء مظهراً أعظم مما للأرض ، فكأن القوة الإلهية حالة بالأكثر فى السماء ، لذلك قيل عن الله أنه جالس فى السماء وتطأ قدميه الأرض .

كلمة « السماء » تعنى من الناحية الروحية القديسين ، كما تعنى « الأرض » الأشرار . فالقديس (الشخص الروحى) يحكم فى كل شىء ولا يحكم فيه أحد [1] ، وهكذا يوضع الاشرار فى مستوى الارضيات حيث يقال لهم « أنك تراب *earth* وإلى التراب تعود » ، لذلك يليق بالله أن يدعوهم موطئاً لقدميه ، متمماً بذلك عدله الإلهى حيث يدين كل واحد حسب أعماله .

† † †

---

(١) أنظر ١ كو ٢ : ١٥ .

الفصل الثامن عشر

٥٤

وعندما نختتم هذا الجزء (من آية ٢٩ - ٣٧) ، نتأمل فى المشقات والمتاعب التى يعانيها المؤمن حين يجاهد بكل قوته ليتحرر من سلطان العادة الشريرة .

فليكن مثل هذا الإنسان مستعداً لأن يقلع عينه أو يقطع يده إن كانتا تمنعاه من دخول الملكوت (آية ٢٩ - ٣٠) ليته لا ينهزم لسبب آلام القطع بل يحتمل فى إخلاص المحبة الزيجية، ومهما بلغت أتعابه وضيقاته الروحية لايخضع للفساد أى للزنا .

فإذا كان لإنسان زوجة عاقر أومشوهة الخلقة أو بها عيب فى جسدها كأن تكون صماء أو عمياء أو عرجاء ، أو مبتلية بالأمراض والآلام والضعف وما إلى ذلك مما يظن أنه مرعب للغاية،فيما عدا الزنا ، فليته يحتمل هذه الأمور من أجل محبته التى تعهد بها ومن أجل وحدة الزيجة ولايتخلى عن زوجته هذه .

فإن كان الإنسان لم يتزوج بعد ، فليته لايتزوج بامرأة مطلقة رغم جمالها وصحتها وغناها وعدم عقرها : لأنه إن كان

ترك المرأة للأسباب السابقة غير جائز؛ فكم يكون الزواج بمطلقة؟!
(آية ٣١، ٣٢) .

هكذا فليتحرر الإنسان من الزنا ، أى ليتحرر من سلطان الشهوة والفساد .

ولينطق بالحق ، مناديا به لا بأقسام كثيرة بل باستقامة قلبه
(آية ٣٣ - ٣٧) .

وليت هذا الانسان يصعد إلى قلعة الجهاد الروحى ، حيث يلقى من فوق - كما من مكان عال - كل العادات الشريرة التى تثور ضده ، والتى سبق ذكرها .

ولكن من يستطع أن يحتمل أتعاباً كثيرة مثل هذه ما لم يكن قد إلتهب قلبه بمحبة البر ، كأنه هلك من الجوع والعطش، وعندما يصل إلى درجة الجوع والعطش سيندفع مجاهداً لنوال ملكوت السموات لكى يشبع. فلولا جوعه وعطشه إلى البر ما كان يحتمل بشجاعة أتعابا كثيرة مثل هذه للتخلص من العادات الشريرة .

لذلك « **طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون** » .

٥٥

إن مثل هذا الانسان يتعرض لأتعاب كثيرة ناتجة عن قسوة

التجارب والجهاد ، ثم بالأكثر تلك الأتعـــاب التى تدركه من حياته الماضية .

فإذا خاف من عدم قدرته على الوفاء بما تعهد به ، عليه أن يأخذ مشورة تعينه . ولكن ما هى هذه المشورة ســوى أن من يرغب فى عون إلهى بسبب ضعفه ، عليه أن يحتمل ضعف الآخرين ويساعدهم ما استطاع .

لذلك فلننظر إلى وصايا الرحمة : فالوديع والرحيم يظهران كما لو كانا شخصاً واحداً ، غير أنه يوجد إختلاف بينهما : فالوديع الذى تحدثنا عنه قبلا لا ينفذ وصـايا الله التى تبدو غير مقبولة عنده ، أو تلك التى تقف ضد خطاياه .

أما الرحيم فهو ذلك الانسان الذى بإعانته للضعفاء يعينه الله على تنفيذ ما يصعب عليه من الوصايا .

✝ ✝ ✝

الفصل التاسع عشر

٥٦

عدم مقاومة الشر

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، واما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . من سألك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

بر الفريسيين الأصغر هو عدم تجاوز حدود الانتقام أى ألا ينتقم الانسان بأكثر مما أصابه . ومع ذلك فليس من السهل أن نجد شخصاً يرغب فى أن يرد الضربة بضربة واحدة ، ويرد بكلمة واحدة على من أساء إليه بكلمة . فالانسان يرغب دائماً فى الانتقام بصورة مغالى فيها جداً،وذلك بسبب الغضب والشعور بأن المسىء يجب أن يعاقب عقاباً مضاعفاً .

فالشريعة الموسوية التى جاء فيها « عين بعين وسن بسن » ، تحد من الروح السابقة لأنها تطالب بألا يزيد الانتقام عن مقدار الضرر الذى أصاب الشخص .

هذه الشريعة هى بداية السلام ، أما السلام الكامل فهو فى عدم الانتقام .

والشريعة الموسوية ، أى إنتقام الإنسان بقدر ماناله من ضرر ، تأتى متوسطة بين أسلوبين ، الأسلوب الأول المتخلف عنها حيث ينتقم الشخص بشر أعظم مما أصابه ، والثانى هو ما جاء به رب المجد معلماً تلاميذه عدم مقاومة الشر .

فبحسب ترتيب الأزمنة حدث تحولاً من الخصومة العظيمة (أى رغبة الانسان فى الانتقام باكثر مما أصابه) إلى اتفاق عظيم بواسطة الشريعة (أى الانتقام بقدر ما أصابه) .

درجات الوصول الى البر الاعظم

« يستعرض أغسطينوس فيما يلى تطور علاقة الإنسان بأخيه ، مبتدئاً من الإنسان البدائى الذى يبدأ بالشر ، وينتهى بالإنسان الكامل الذى يفرح باحتمال ضعفات الآخرين » .

١ - الانسان البدائى يبدأ بالاعتداء على أخيه .

٢ - والانسان الذى لا يبدأ بالشر ولكنه يقاوم الشر بشر أعظم لا يكون بعد قد بلغ مستوى الشريعة الموسوية .

٣ - أما فى الشريعة الموسوية فقد طلب من الانسان أن لا يتعدى إنتقامه قدر الشر الذى أصابه، وبهذا يكون قد تنازل عن جزء من حقه، إذ العدالة تقتضى معاقبة البادىء بأكثر مما صنع.

٥٧

والشريعة الموسوية ، أى إنتقام الإنسان بقدر مانا له من ضرر ، تأتى متوسطة بين أسلوبين ، الأسلوب الأول المتخلف عنها حيث ينتقم الشخص بشر أعظم مما أصابه ، والثانى هو ما جاء به رب المجد معلماً تلاميذه عدم مقاومة الشر .

فبحسب ترتيب الأزمنة حدث تحولاً من الخصومة العظيمة (أى رغبة الانسان فى الانتقام بأكثر مما أصابه) إلى اتفاق عظيم بواسطة الشريعة (أى الانتقام بقدر ما أصابه) .

درجات الوصول الى البر الاعظم

« يستعرض أغسطينوس فيما يلى تطور علاقة الإنسان بأخيه ، مبتدئاً من الإنسان البدائى الذى يبدأ بالشر ، وينتهى بالإنسان الكامل الذى يفرح بإحتمال ضعفات الآخرين » .

١ ـ الانسان البدائى يبدأ بالاعتداء على أخيه .

٢ ـ والانسان الذى لا يبدأ بالشر ولكنه يقاوم الشر بشر أعظم لا يكون بعد قد بلغ مستوى الشريعة الموسوية .

٣ ـ أما فى الشريعة الموسوية فقد طلب من الانسان أن لا يتعدى إنتقامه قدر الشر الذى أصابه، وبهذا يكون قد تنازل عن جزء من حقه، إذ العدالة تقتضى معاقبة البادىء بأكثر مما صنع.

معتوهين . . . هؤلاء يدركون قيمة احتمال ضعف الآخرين بفرح رغم ما يلحق بهم من أضرار . وإن نتج عن احتمالهم هذا نفعاً لمن يخدمونهم ، فلا بد أنهم سيضاعفون خدمتهم واحتمالهم حتى يشفوا من ضعفهم .

إذاً ماذا يوصينا طبيب النفوس — الرب يسوع — بأقربائنا ؟ . . . إنه لا يطلب منا سوى احتمال ضعفاتهم ،لأجل خلاصهم .فان شرور أقربائنا تنبع عن ضعف نفوسهم ومرضها.

٥٨

ماذا يقصد بالخد الأيمن والآخر

إن وجه الإنسان يعبر عن شخصه . ويقول الرسول « إن كان أحد يستعبدكم . إن كان أحد يأكلكم . إن كان أحد يرتفع. إن كان أحد **يضربكم على وجوهكم** » مفسراً الضرب على الوجه بأنه إهانة وإحتقار ، إذ يكمل قائلا « على سبيل الهوان »[1] .

والرسول يذكر ذلك مبيناً أنه إن كان عليهم أن يحتملوا من يضربهم على وجوههم ، فكم بالأكثر ينبغي عليهم أن يحتملوا من أحبهم حتى رغب فى أن ينفق لأجلهم[2] .

---

(١) ٢ كو ١١ : ٢٠ ، ٢١ . (٢) أنظر ٢ كو ١٢ : ١٥.

وقد إحتمل الرسول بولس اللطم على الخد الأيمن ثم الأيسر . فقد إحتمل ما إحتمله التلاميذ من تعيير بسبب اسم المسيح الذى دعى عليهم (أى إحتمل اللطم على الخد الأيمن). بعد ذلك قدم الخد الأيسر مضحياً بأمجاده العالمية (جنسيته الرومانية)[1] . فعندما أعلن عن جنسيته الرومانية لم يكن يقصد بذلك الافتخار أو الإنتقام ممن أساءوا اليه . بل بالعكس كان بولس يعلن عن رومانيته لتهيأ له فرصة للحديث عن المسيح معلناً بذلك محبته لخلاص نفوس هؤلاء الذين أكرموه لأجل رومانيته وأهانوه لأجل مسيحيته .

وبالمثل أيضاً عندما ضرب بأمر رئيس الكهنة فقد رد عليه بمحبة ، رغم ما يبدو من إجابته أنه كان غاضباً ، إذ قال « سيضربك الله أيها الحائط المبيض » . فرده هذا يبدو شتيمة ، أما حقيقة أمره فهو نبوة . فالحائط المبيض هو الرياء أو التظاهر فى مظهر الكهنوت ، كما لو كانت هناك قذارة مخبأة فى غلاف أبيض . فالرسول إحتفظ بالاتضاع بصورة عجيبة . فعندما قيل له «أتشتم رئيس كهنة الله؟ » أجاب « لم أكن أعرف أيها الاخوة أنه رئيس كهنة لانه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً »[2].

(١) أنظر أع ١٦ : ٣٧ (٢) أع ٢٣ : ٥ .

فإجابته هذه تظهر مدى الهدوء الذى كان يتحدث به، فيما حسب أنه يتكلم بغضب فقد أجاب بسرعة ولطف، الأمر الذى لا يحدث من شخص غاضب أو معتذر (بسبب الشتيمة) ... فكأنه قال انى أعرف رئيس كهنة آخر - المسيح - الذى احتمل أنا من أجله أتعاباً كهذه ، هذا الذى لا يجوز شتمه ، وأنتم قد شتمتموه ، لأنه لا يوجد فى نفسى شىء سوى إسمه الذى تكرهونه .

لهذا يلزم للشخص ألا يفتخر بكراماته الزمنية ، بل يعد قلبه لاحتمال كل الأشياء حتى يستطيع أن يرتل بفرح مع النبى قائلا « قلبى مستعد يا الله . قلبى مستعد »[1] .

كثيرون تعلموا كيف يقدمون الخد الآخر (أى أن يهانوا فى أمجادهم الزمنية) ولكنهم لم يتعلموا كيف يحبون ضاربيهم .

والمسيح رب المجد ، واضع الوصية ومنفذها الأول، عندما لطم على خده بواسطة خادم رئيس الكهنة رد قائلا « إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى ، وإن حسنا فلماذا تضربنى»[2] فهو لم يقدم الخد الآخر ولكن مع ذلك فقد كان قلبه مستعداً لخلاص الجميع لا بضرب خده الآخر فقط من ذلك العبد ، بل وبصاب جسده كله .

---

(١) مز ٥٦ : ٨ .　　(٢) يو ١٨ : ٢٣ .

٥٩

من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا .

إن هذه الوصيـة ينبغى أن تفهم على أنهـا تهتم بتهيئة القلب داخلياً فى كل ما تملك . فما قيل عن الثوب والرداء لا يقصد به المعنى المحدود لهما بل يقصد بهما كل ما نمتلكه فى هذه الحياة .

وإن كان هذا أمر الضروريات فـكم بالأكثر ينبغى لنـا أن نزدرى بالـكماليات ؟!!

ليتنا نحتقر كل تلك الأشياء التى نحسبها ملـكاً لنا ويخاصمنـا إخوتنا بسببها ... ليتنا ننقل ملـكيتها إليهم .

قلنا ان هذه الوصية تنطبق على جميع ممتلكاتنا ... ولـكن هل يعتبر العبيد من الممتلكات التى نقتنيها وبذلك تطبق الوصية عليهم ؟

على المسيحى ألا يمتلك عبداً بالطريقة التى يمتلك بها حصاناً أو منقولات ذهبية أو فضية ، حتى لو كان ثمن هذه الممتلكات أغلى من ثمن العبد .

فإذا كان المسيحى كسيد للعبد قد هذبه وأدبه بطريقة تقوده إلى خوف الله أفضل من معاملة السيد الذى يرغب فى أخذه منه ، فلا

أظن أن أحداً يتجاسر مزدرياً بالعبد ، تاركاً إياه للسيد الآخر كما يترك الثوب . إذاً ينبغى للسيد أن يحب أخاه العبد كنفسه .

٦٠

يجب أن نلاحـــظ بعناية أن كل ثوب *tunic* هو رداء *garment* ، وليس كل رداء ثوباً . فمن ثم كلمة « رداء » أعم من كلمة « ثوب » . لذلك أظن أنه عندما قال الرب « ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء » كان يقصد أن من يرغب فى أخذ الثوب ينبغى أن نترك له الملابس الأخرى .

٦١

ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين (اخرين)

بالتأكيد أن الرب لا يقصد كثيراً تنفيذ هذه الوصية بالسير على الأقدام ، بقدر ما يعنى إعداد الذهن لتنفيذ الوصية . فتاريخ الكنيسة الذى يعتبر مرجعاً لمثل هذه الأمور . لا يشير إلى تنفيذ هذه الوصيـــة (حرفياً) بواسطة القديسين أو الرب نفسه فى وجوده بالجسد على الارض ، مع أنه تنازل وأخذ جسداً معطياً لنا مثالا نقتفى إثر خطواته ، ولكننا نجدهم فى الوقت نفسه ، مستعدين لاحتمال كل ما يصيبهم من شرور بشجاعة .

ولكن لماذا حدد الرب يسوع المسافة بميلين (آخرين) ؟ هل قصد بذلك مجرد السير، أم أنه قصد تكميل الميل بميلين آخرين فيصبح العدد ثلاثة ، هذا الرقم الذى يعنى الكمال ، حتى يتذكر من ينفذ هذه الوصيـــة أنه يتمم البر الكامل فى احتمال أتعاب الآخرين بلطف حتى إلى الميل الثالث ؟

إن عرض رب المجد لهذه الوصايا الثلاثة فى هذا الترتيب إنما يتدرج فى الاحتمال من الأسهل إلى الأصعب .

المثال الأول: من يلطمك على خدك الأيمن... حول له الآخر.

المثال الثانى : من يأخذ ثوبك ... إعطه الرداء .

المثال الثالث : من يسخرك ميلا... سر معه اثنين (آخرين) .

ففى الوصية الأولى ، طلب تقديم الخد الثانى ، عند اللطم على الخد الأيمن ، أى الاستعداد لاحتمال ما يصيبنا مضافا إليه شىء آخر أقل منه ، لأنه إنما يقصد بالأيمن شيئاً أهم من الأيسر . فاحتمالنا اللطم على الخد الأيسر أى الاهانة فى الأمور البسيطة يكون هيناً ، ما دمنا نستطيع إحتمال الاهانة فى أمور عزيزة علينا (أى اللطم على الخد الأيمن) .

وفى الوصية الثانية الخاصة بطلب الثوب ، أوصى الرب

بإعطاء الرداء أيضاً ، أى إعطاء ما يساويه أو أكثر منه قليلا دون أن يبلغ إلى الضعف .

وفى الوصية الثالثة الخاصة بالميل، أوصى الرب بإضافة ميلين آخرين إلى الميل الأصلى ، أى أمر بوجوب احتمال الضعف أيضاً . . .

† † †

للتهذيب ، وذلك كما تمليه المحبة نفسها ، على أن توقيع التأديب لا يمنع من كون الانسان مستعداً لاحتمال أضـراراً أكثر بمن يؤدبه . ولـكن لا يستطيع الانسان ذلك ما لم يكن قد تغلب على الكراهية التى تدفع للانتقام ، وهذه الغلبة لا تكون إلا بالمحبة الشديدة . فنحن لا نخاف أن يكره الآب إبنه الصغير عندما يؤدبه كى لا يخطىء مرة أخرى .

إن كمال المحبة يظهر لنـا فى الله الآب نفسه الذى نقتدى به ، عندما قال فيما بعد ذلك « أحبوا أعداءكم... أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم »[1] .

ومع هذا فقد قيل عنه بالرسول « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله »[2] . يقول الرب أيضاً « وأما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيضرب كثيراً . ولـكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضـرب قليلا »[3] . لذلك فمن أعطى له سلطان التأديب ، فليؤدب بحسب النظام الطبيعى ، بنفس الارادة الصالحة التى للآب نحو إبنه الصغير الذى لا يمكن أن يكرهه .

---

(١) مت ٥ : ٤٤ .   (٢) عب ١٢ : ٦

(٣) أنظر لو ١٢ : ٤٧ ، ٤٨ .

وإنه لمن الخطأ أن يترك الخاطىء بدون تأديب ، فمن يؤدب بمحبة لايقصد جعل الخاطىء بائساً ، بل يرغب فى إسعاده بالتأديب ولكن على المؤدب أن يكون مستعداً لاحتمال شروراً أكثر من الشخص الذى يؤدبه ، سواء أكان فى سلطانه أن يمنعه من ذلك أو ليس فى سلطانه ذلك .

لقد استخدم بعض الآباء القديسين أحياناً عقوبة الموت فى الحكم على البشر ، ومع ذلك فهم يعرفون جيداً أن الموت (الذى يفصل الروح عن الجسد) ليس بعقاب ، ولكن لأن الكثيرين يشعرون بخوف من الموت ، لذلك استخدمت عقوبة الموت لتخويف الخطاة . والحقيقة أن الموت لايضر من يؤدب به ، إنما الذى يجلب الضرر هى تلك الخطية التى تتزايد ببقاء الخطاة أحياء فى الجسد .

إن استخدام الآباء للسلطان الإلهى فى الحكم بالموت على الخطاة لم يكن بتهور بل كان بحكمة . فحكم إيليا النبى بالموت على كثيرين من الخططاة سواء بالقتل أو بطلبه ناراً من السماء لإبادتهم[1] ، هذا الحكم إنما حدث بروح المحبة لخير البشرية ونفع المؤمنين .

لذلك عندما طلب التلاميذ من السيد المسيح نفس الطلب ، أن

---

(١) أنظر ١ مل ١٨ : ٤٠ ، ٢ مل ١ : ١٠ .

تنزل نار من السماء على أهل السامرة الذين لم يقبلوا السيد المسيح متمثلين بإيليا النبي ، لم ينقد الرب ما صنع النبي ، بل انتهر جهل التلاميذ، ووبخاً معرفتهم البدائية برسالة المسيح الخلاصية، موضحاً لهم أنهم بذلك لا يرغبون فى التهذيب بمحبة ، بل يرغبون فى الانتقام بكراهية [1]. وبعد ما علمهم الرب عن محبة القريب كالنفس ، وبعد ما حل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين ، لم يعودوا بعد يطلبون مثل هذه الامور الانتقامية، بل أصبحت هذه الطلبات نادرة جداً فى العهد الجديد [2] إذا ما قورنت بالعهد القديم . إن العلاقة بين الله والانسان فى العهد القديم ، كالعلاقة بين السيد والعبد ، تقوم على الخوف . أما فى العهد الجديد ، فلم نصبح بعد عبيداً بل أبناء إذ قد تحررت نفوسنا من عبودية الخوف بالمحبة الإلهية .

٦٤ ، ٦٥

إن أتباع مانى ينقدون العهد القديم ولا يعترفون به لأجل تلك الأحكام . ولكن عليهم أن يتأملوا ما قاله بولس الرسول بخصوص الخاطىء الذى أسلم إلى الشيطان لهلاك الجسد ، لكى

(١) لو ٩ : ٥٢ ـ ٥٦ .   (٢) حنانيا وسفيره .

تخلص الروح »[1]. ورغم أن هذا النص لا يفهم منه موت الجسد إلا أن الرسول كان يفرض هذا التأديب لا عن كراهية بل فى حب كما يتضح من قوله « لكى تخلص الروح »[2].

وليلاحظ هؤلاء الهراطقة ما جاء فى كتب الكنيسة التى يعترفون بها، حيث كتب فيها أن الرسول توما لعن الشخص الذى ضربه بيده، طالباً له الموت، بصورة قاسية جداً، رغم طلبه من أجل روح هذا الشخص حتى لا يحرم من ميراث العالم الآتى. لذلك لا ينبغى لهم أن يثوروا بصورة عنيفة على التأديبات الجسدية الواردة بالعهد القديم، متجاهلين بأى روح فرضت هذه التأديبات وفى أى مرحلة من ترتيب الأزمنة جاءت.

٦٦

رأينا فيما سبق هذا النوع من الضرر (الذى لا يمكن اصلاحه أو تعويضه)، وكيف ينبغى على المسيحيين أن يحتملوه، لا بعقل مشحون بالكراهية بل بمحبة مستعدين لاحتمال ضرراً أكثر من

(١) ١ كو ٥ : ٥.

(٢) كان يقصد الرسول أن يعزل هذا الشخص وأمر بعدم مخالطته (١ كو ٥ : ١١، ١٣). ويبدو أن هذا الأخ قد حزن حزناً مفرطاً حتى كاد أن يبتلع من الحزن، لذلك كتب الرسول فى رسالته الثانية مطالباً بمسامحته. (٢ كو ٢ : ٥ ــ ٨).

أجل ضعف الآخرين . ومع ذلك فإنهم لا يهملون إصلاح من أساءوا إليهم ، بل يسعون إلى تهذيبهم ، باستخدام النصح ، وأحياناً بسلطان التأديب ، إن كان قد أعطى لهم .

النوع الثانى

هناك نوع آخر من الضرر يمكن فيه إعادة الشيء إلى أصله تماما ، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين: الأول يخص المال والآخر يخص العمل . لأجل ذلك أضاف رب المجد هذين المثلين: الاول الخاص بالثوب ، والثانى الخاص بالخدمة الإلزاميـــة للميل والميلين . فالثوب المغتصب يمكن إعادته ، ومن أجبر شخصاً على القيام بخدمة له يمكنه أن يرد الخدمة مرة أخرى إن وافق المسخر على ردها . . .

٦٧

من سألك فاعطه

لا يكتفى رب المجد بعدم مقاومتنا للشر ، بل يأمرنا بصنع الخير ما أمكن ، لذلك أردف قائلا « من سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » .

إن رب المجد يقول « من سألك » وليس « كل شيء يسأله

منك » ، حتى يكون عطاؤنا للسائلين بحكمة واستقامة . لأنه هل تعطى لمن يسألك مالاً كى يستخدمه فى صنع الشر بأخيه ، أو يصنع به أمراً نجساً ؟

إذاً بالتأكيد رب المجد يقصد أن نعطى ، عندما لا يكون العطاء سبباً فى ضرر لنا أو للسائل ، وذلك بقدر فهمنا وإذا كنا وعلينا قبل أن نرفض العطاء (الضار) أن نوجه السائل إلى الحق، وبذلك نكون قد قدمنا له شيئاً أفضل مما يطلب .

٦٨

ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده

إن المعطى المسرور يحبه الرب [١] . فالعبرة ليست فى العطاء بل فى السرور فى العطاء .

وعندما نعطى فنحن نقرض الآخرين ، وإذا لم يقوموا بإعادته فسيرده الرب لنا أضعافاً . إذاً من يصنع رحمة لأخيه ، يعوضه الرب أكثر مما يعطى [٢] .

وحديث رب المجد يحتمل معنيين :

١ ـ الإقراض بقصد إعادة القرض إلى صاحبه .

---

(١) ٢ كو ٩ : ٧ .   (٢) «من يعطى المسكين يقرض الرب» .

ب ـ الإقراض دون توقع إعادة القرض إلى صاحبه في هذه الحياة .

وإن الذين يضعون نصب أعينهم الجزاء السمائي، يرغبون في العطاء دون استرجاعه في الحياة الحاضرة . فهم يترددون في إقراض الآخرين إذا علموا أنهم سيقومون بإرجاع القرض ، كأنهم يرفضون استعادته من غير الرب ذاته .

والوحي الإلهي ينصح بأن نصنع الإحسان بهذه الطريقة قائلا « ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » . فعندما نقرض شيئاً لإخوتنا نسترد منهم قدر ما أعطيناهم ، ولكن عندما نقرض الرب ولا ننتظر شيئاً من الناس فإنه يرده لنا أضعافاً مضاعفة .

† † †

الفصل الحادي والعشرون

٦٩

محبة الأعداء

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم - باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . لكى تكونوا ابناء أبيكم الذى فى السموات . فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين . لانه ان أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

ولكن من أين لنا القدرة على احتمال كل تلك الأضرار السابق الإشارة إليها ، إلا اذا كنا قد نفذنا أوامر السيد المسيح بمحبتنا لأعدائنا ومضطهدينا ؟ ! فإن كمال الرحمة والمحبة والاحتمال لا يمكن أن يمتد إلى أكثر من الأعداء . لذلك اختتم رب المجد ذلك بقوله « فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل ؟ على أنه ينبغى أن نذكر أن كمال الله يختلف عن كمال نفوسنا كبشر .

٧٠

إن بعض الناس يكرهون حتى الذين يحبونهم ، مثل الأبناء

الذين يكرهون آباءهم عندما يؤدبونهم . فشريعة العهد القديم سمت بالإنسان إلى درجة محبته لقريبه ...أما فى شريعة المسيح، التى جاءت مكملة لا ناقضة للناموس ، فقد سما السيد المسيح بالإنسان إلى درجة الكمال ، عندما بلغ به إلى محبة الأعداء . فالدرجة التى سمت إليها شريعة العهد القديم ، درجة بسيطة يمكن للعامة الوصول إليها .

كما ينبغى ألا نفهم ما جاء بالناموس « تبغض عدوك » على أنه وصية موجهة للانسان البار ، بل بالحرى هى سماح معطى للانسان الضعيف .

٧١

ولقد يبدو لقليلى الفهم أن بعض النصوص الكتابية مناقضة لشريعة السيد المسيح الآمر بمحبة الأعداء . فلقد جاء فى العهد القديم كثير من الأدعية ضد الأعداء ، مثال ذلك « لتصر مائدتهم . . . فخاً »[١] ، « ليكن بنوه أيتاما وامرأته أرملة »[٢] وغيرها من تلك العبارات التى جاءت فى نفس المزمور متنبئة عن يهوذا .

---

(١) مز ٦٩ : ٢٢ . (٢) مز ١٠٩ : ٩ .

أما فى العهد الجديد فلقد جاءت بعض النصوص التى يبدو
فيها شيء من التعارض مع وصية الرب ووصية الرسول «باركوا
لاعنيكم » [1] . مثال ذلك ماقاله رب المجد عندما لعن المدن التى
لم تقبل كلمته [2] ، وما جاء على لسان الرسول عن شخص معين
ليجازه الرب حسب أعماله » [3] .

٧٢

إذ تأملنا فى المشكلة السابقة لوجدنا أن حلها أمر سهل جداً.
فالنبى كان يتنبأ عن تلك اللعنات التى أوشكت أن تحدث . فهو لم
يكن يرغب فيها بل كان يتكلم بها بروح من يراها مقدماً .
كذلك كلمات الرب وكلمات الرسول ، فهى لا تحوى أموراً
يرغبونها للآخرين بل نبوات عنهم . إن السيد المسيح عند قوله
« الويل لك يا كفر ناحوم » لم ينطق سوى بما سيلحق بها من شر
نتيجة عدم إيمانها ، وإن هذه اللعنات لا يرغب فيها الرب حاقداً
عليها ، بل يراها بسلطانه الإلهى .

أما الرسول، فهو لم يقل « لعل الرب يجازيه» بل «سيجازيه

(١) رو ١٢ : ١٤ . (٢) أنظر مت ١١ : ٢٠ ـ ٢٥ .
(٣) ٢ تى ٤ : ١٤ .

الرب حسب أعماله » . . . وهذه كلمات من يتنبأ لا من يلعن . وبالمثل بالنسبة لرياء اليهود ، الذى سبق الحديث عنه ، فقد كان الرسول يتنبأ عن رئيس الكهنة حين قال « سيضربك الله أيها الحائط المبيض » .

ولقد اعتاد الأنبياء النطق بالنبوات عن الامور المستقبلة فى صورة دعاء فى صيغة الماضى « لماذا ارتجت الامم وتفكرت الشعوب فى الباطل » (١) . فهو لم يقل « لماذا سترتج الامم وتفكر الشعوب فى الباطل » رغم أن هذه الأمور لم تحدث فى الماضى بل ستحدث فى المستقبل .كذلك ما قيل بلسان النبى داود عن السيد المسيح « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون» (٢) فهو لم يقل « سيقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى سيقترعون » .

من كل هذا نرى أن اختلاف أساليب الحديث لا ينقص أى درجة من صدق الحقائق بل بالحرى يزيد من تأثيرها على أفكارنا.

† † †

---

(١) مز ٢ : ١ .   (٢) مز ٢٢ : ١٨ .

الفصل الثاني والعشرون

٧٣

ان رأى احد اخاه يخطىء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه (الرب) حياة للذين يخطئون ليس للموت . توجد خطية للموت. ليس لاجل هذه اقول ان يطلب (١) .

فالوحى الالهى يأمرنا بعدم الصلاة لأجل بعض إخوة معينين ، وفى نفس الوقت يأمرنا بالصلاة لأجل الذين يسيئون إلينا ويطردوننا .

إن بعض الخطايا التى تصدر من **الاخوة** تعتبر أشر من طرد **الاعداء** لنا ، وعلى ذلك يمكن التوفيق بين الأمرين السابقين . إن هؤلاء الإخوة ، يقصد بهم المسيحيون ، إذ يقول الرسول « لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى **الاخ** » (٢) ، كما يقول أيضاً « ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق . ليس **الاخ** أو **الاخت** مستعبداً فى مثل هذه الأحوال » .

---

(١) ١ يو ٥ : ١٦ .

(٢) كلمة « الأخ » هنا مترجمة حسب النص الانجليزى ١ كو ٧ : ١٤ ، ١٥ .

لذلك أظن ان الأخ الذى عرف الله بنعمة ربنا يسوع المسيح ، تعتبر خطيته للموت إن كان يعمل على إفساد رابطة المحبة بين الإخوة ، مندفعاً بذلك بنار الحسد ومقاومة النعمة التى سبق أن عملت فيه .

أما إذ كان الأخ لا يزال محباً لأخيه، ولكن لطبيعته البشرية يضعف بجهل فى واجباته نحو علاقته بأخيه ، فإن خطيته هذه لا تكون للموت . لهذا قال رب المجد على الصليب « يا أبتاه إغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون »[1] إذ أنهم لم يكونوا بعد قد اشتركوا فى نعمة الروح القدس، ولم يصيروا بعد أعضاء فى وحدة الأخوة المقدسة .

ويصلى المبارك اسطفانوس (فى سفر أعمال الرسل) لأجل راجميه لأنهم لم يكونوا قد آمنوا بعد بالسيد المسيح ، وهم بذلك لم يكونوا بعد مقاومين لنعمة قد أعطيت لهم .

لذلك أظن أن الرسول بولس لم يطلب من أجل اسكندر النحاس ، لأنه كان قد أخطأ للموت ، إذ بينما هو أخ غير أنه كان يعمل على إفساد وحدة الإخوة بحسده وشروره. بينما نجد

---

(١) لو ٢٣ : ٢٤ .

الرسول يطلب للذين لم يتخلوا عن محبتهم له لكن لأجل الاضطهاد كانوا خائفين . فيقول « اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة وليجازه الرب حسب أعماله . فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً »[1] . ثم تحدث بعد ذلك عن أولئك الذين يطلب لأجلهم المغفرة قائلا « فى إحتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى . لا يحسب (الله) عليهم » .

٧٤

التوبة المقبولة

إن التفرقة بين الخطيئتين السابقتين تلقى أمامنا ضوءاً للتمييز بين خطية يهوذا الخائن وبطرس المنكر ، فالإختلاف بينهما ليس فى عدم المغفرة ليهوذا وقبول توبة بطرس ، لأنه ان كان الرب يوصينا (نحن البشر) بأن نغفر لمن يطلب العفو منا [2] ، فلابد أنه يغفر للتائبين إليه . لكن يتضح أمامنا أن خطية يهوذا كانت شنيعة إلى الحد الذى جعله لايقدر أن يتضع أمام الله طالباً الغفران . هذا كله رغم معرفته لخطيته بواسطة ضميره الشرير ، وإعلانه لخطيته أمام الآخرين قائلا « قد أخطأت إذ أسلمت دماً

---

(١) ٢تى ٤ : ١٤ ــ ١٦ .

(٢) أنظر مت ١٨ : ٢١ ، لو ١٧ : ٣ .

بريئاً » [1]. وبعد اعترافه بخطيته لم يسأل المغفرة عنها باتضاع ، لكنه مضى يائساً وخنق نفسه .

من هذا المثال يمكننا أن نعرف ما هى الشروط التى ننال بها الغفران عند توبتنا ، فإن كثيرين يعرفون خطاياهم بسرعة ، ويحزنون عليها ، بل ويرغبون فى عدم العودة إليها مرة أخرى ، لكنهم لا يتضعون ويتسحقون طالبين المغفرة رغم شعورهم بأنهم مخطئون .

٧٥

ما هى الخطية التى بلا غفران ؟

ربما تكون هذه الخطية هى التجديف على الروح القدس ، أى مقاومة روح المحبة والآخاء بعد قبول نعمة الروح القدس ، بسبب حسد الإخوة والحقد عليهم ، فتكون هذه الخطية التى قال عنها رب المجد أنها لا تغفر فى هذا العالم ولا فى الآتى .

وإننا نتساءل الآن : هل جدف اليهود على الروح القدس عندما قالوا لربنا أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ؟!

لنا إجابتان للرد على هذا السؤال . الأولى أنهم جدفوا على ربنا يسوع لأنه قال عن نفسه فى موضع آخر « إن كانوا قد

---

(١) أنظر مت ٢٧ : ٤ ، ٥ .

لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته ؟ » . والإجابة الثانية أننا قد نفهم قولهم هذا على أنه تجديف على الروح القدس، وذلك لأنهم لم يشكروا الرب على إحساناته العظيمة الواضحة بسبب حسدهم له وحقدهم عليه ، على أننا لا ننسى أنهم لم يصيروا مسيحيين بعد .

فالتفسير الثانى ، وهو أنهم جدفوا على الروح القدس (رغم أنهم غير مسيحيين) غير مقبول . ويتضح ذلك من حديث ربنا « من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له . وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » . فكأن رب المجد يقول لهم أنه سيغفر لهم تجديفاتهم عليه، على شرط أن يتوبوا ويؤمنوا به ويقبلوا الروح القدس . ولكن بعد قبولهم الروح القدس إن حسدوا الإخوة وقاوموا الروح القدس الذى قبلوه ، فلن يغفر لهم لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى . وهذا التفسير صحيح لأنه لو كان رب المجد يقصد بحديثه السابق أنهم جدفوا على الروح القدس، وبالتالى ليس لهم غفران ، ما كان هناك مجال بعد لنصحه إياهم قائلاً « اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً أو اجعلوا الشجرة رديئة وثمرها ردياً » (١) .

---

(١) أنظر مت ١٢ : ٢٤ ـ ٣٣ .

٧٦

وينبغى علينا ألا نظن وجود تناقض فى الكتاب المقدس ، فالكتاب الذى يأمرنا بمحبة أعدائنا والإحسان لمبغضينا والصلاة لأجل الذين يطردوننا ، فى نفس الوقت يأمرنا بعدم الصلاة لبعض الإخوة . وأحياناً ينبغى لنا أن نصلى ضد البعض رغم قول الكتاب المقدس « باركوا ولا تلعنوا »[١] وقوله « لا تجاز أحداً عن شر بشر »[٢] .

فكثيرون لا رجاء فى خلاصهم (وذلك أمثال آريوس ونسطور وأوطيخا وسابليوس ومانى ... هؤلاء الذين قسموا الكنيسة ، ونقضوا الايمان ، وأصروا على هرطقاتهم ، حتى صار وجودهم فى العالم مصدر ضرر كبير على النفوس البسيطة) . إن القديسين كانوا يصلون ضدهم، يصلون لا لأجل توبتهم ورجوعهم عن خطاياهم بل لكى يحل بهم الحكم النهائى. إن مثل هؤلاء لا يطلب منا أن نصلى لأجلهم ، إذ لا ينبغى لنا أن نصلى فى الوقت الذى نتيقن فيه أن صلواتنا سترفض أمام الديان الأعظم .

هذه الصلوات تختلف عن تلك التى قدمها داود النبى ضد يهوذا الخائن ، تلك التى لم تكن صلاة بقدر ما كانت نبوة عن

(١) رو ١٢ : ١٤ .   (٢) رو ١٢ : ١٧ .

٧٦

وينبغى علينا ألا نظن وجود تناقض فى الكتاب المقدس ، فالكتاب الذى يأمرنا بمحبة أعدائنا والإحسان لمبغضينا والصلاة لأجل الذين يطردوننا ، فى نفس الوقت يأمرنا بعدم الصلاة لبعض الإخوة . وأحياناً ينبغى لنا أن نصلى ضد البعض رغم قول الكتاب المقدس « باركوا ولا تلعنوا »[1] وقوله « لا تجاز أحداً عن شر بشر »[2] .

فكثيرون لا رجاء فى خلاصهم (وذلك أمثال آريوس ونسطور وأوطيخا وسابليوس ومانى ... هؤلاء الذين قسموا الكنيسة ، ونقضوا الايمان ، وأصروا على هرطقاتهم ، حتى صار وجودهم فى العالم مصدر ضرر كبير على النفوس البسيطة) . إن القديسين كانوا يصلون ضدهم، يصلون لا لأجل توبتهم ورجوعهم عن خطاياهم بل لكى يحل بهم الحكم النهائى. إن مثل هؤلاء لا يطلب منا أن نصلى لأجلهم ، إذ لا ينبغى لنا أن نصلى فى الوقت الذى نتيقن فيه أن صلواتنا سترفض أمام الديان الأعظم .

هذه الصلوات تختلف عن تلك التى قدمها داود النبى ضد يهوذا الخائن ، تلك التى لم تكن صلاة بقدر ما كانت نبوة عن

---

(١) رو ١٢ : ١٤ . (٢) رو ١٢ : ١٧ .

أنظر إلى الرسول بولس، ألا يبدو أنه ينتقم للشهيد إسطفانوس في شخصه عندما يقول «هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء . بل أقمع جسدي وأستعبده »[1]، لأنه حينما كان يضطهد إسطفانوس وغيره من الشهداء كان يستعبد أجسادهم ويذلها ، فكأنه أنتقم لهم في ذاته باستعباده لجسده وقمعه له .

إذاً من يستطيع أن يجزم بأن الشهداء القديسين لم يكونوا يسألون من الرب إنتقاما كهذا! لأنفسهم (أي إبادة مملكة الخطية)؟ لأننا نجد في مثل هذا الطلب رغبة في إنهاء عالم الخطية الذي تحملوا فيه عذاباتهم . إنهم يصلون لأجل أعدائهم حتى يمكن رجوعهم إلى الرب ، كما يصلون ضد أولئك المصرين على الخطية إلى النهاية ، لأن الله في عقابه لمثل هؤلاء لا يكون منتقما حاقداً بل مدبراً للبر الأعظم .

لذلك ليتنا لا نتردد في محبة أعدائنا والاحسان إلى مبغضينا والصلاة لأجل الذين يسيئون إلينا .

† † †

(١) ١ كو ٩ : ٢٦ ، ٢٧ .

٧٩

ولكن عندما دعانا ابن الله المولود نفسه إلى هذه البنوة ، إنما دعانا للتشبه به لذلك قال :

فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين .

ولكن ما هى هذه الشمس ؟ !

إما أن تكون شمساً غير منظورة ، أى تلك الحكمة التى قيل عنها أنها « ضياء النور الأزلى » [١] ، كما قيل عنها « شمس البر تشرق على » وأيضاً « لكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر » [٢] .

وبالمثل يكون المطر غير منظور ، قاصداً به تعاليم الحق وإرواتها لنفوسنا ، لأن السيد المسيح جاء للصالحين والأشرار ، وبشر به للأبرار والظالمين .

وإما أن تكون هى تلك الشمس المنظورة التى تراها جميع المخلوقات ، كذلك المطر يكون هو ذلك المطر المنظور الذى عليه تنمو النباتات التى تقوت الجسد . وهذا التفسير أظنه أكثر احتمالاً ، لأن الشمس الروحية لا تشرق سوى على الصالحين

---

(١) حك ٧ : ٢٦ . (٢) ٤ : ٢ .

الآخرين لأجل خلاصهم ، بل ويحتمل شروراً مضاعفة لأجل
نفعهم ، بل ومن يستطيع أن يعطى كل من يسأله أو يستطيع
ألا يرد من يريد أن يقترض منه ، ومن يستطيع أن يحب أعداءه
ويحسن إلى مبغضيه ويصلى لأجل الذين يطردونه ... أقول من
يستطيع تنفيذ هذه الأمور غير الشخص الرحيم تماماً ؟ ! متمماً
بذلك القول الإلهى « إنى أريد رحمة لا ذبيحة » . لذلك
« طوبى للرحماء لانهم يرحمون »

إلى هنا أعاننا الرب

وانتهى الجزء الاول

مقدمة الطبعة الاولى

سبق أن إطلعت أيها القارىء العزيز على الجزء الأول من كتاب الموعظة على الجبـل الذى يتحدث فيه أغسطينوس عن الاصحاح الخامس من إنجيل معلمنا متى البشير . أما الجزء الذى نحن بصدده الآن فيخص الاصحاح السادس والسابع من الانجيل.

ولقد وضع أغسطينوس أمامه فى تفسيره لهذا الجزء اتجاهاً عاماً ـ ألا وهو **نقاوة القلب** . وقصد أغسطينوس بهذا الاتجاه ما يأتى :

ا ـ ان الانسان المسيحى ينبغى أن يحافظ على نقاوة قلبه ، لذلك عليه أن يكون **مدققا** فى كل حركاته وانفعالاته وأفكاره ... ويكون حذراً دائماً فى ألا يشوه نقاوة قلبه الذى به يعاين الله لذلك بدأ الرب حديثه قائلا « احترزوا ... » .

وحياة التدقيق ترتبط بالدخول من الباب الضيق والتخلى عن كل ما هو من حقنا . ولكنه يؤدى بنا إلى الباب الواسع ...

ب ـ ومن الأمور الأساسية فى العبادة المسيحية **الكيف** قبل الكم . والكيف فى الموعظة مبنى على أساس العلاقة السرية الخفية بين المؤمن وأبيه السماوى ، لذلك لحديث الرب عن الصـدقة

والصلاة والصوم يؤكد أن تكون فى الخفاء ـ دون انتظار أجر ـ وأبوك السماوى يجازيك علانية .

جـ ـ وعلى المؤمن ألا يشوه قلبه بمحبة المال فيكون بذلك عابداً لسيدين . وان القلب المستقل بمحبة المال لا يمكن أبداً أن يخلص لله ويحبه .

د ـ أخيراً مثل هذا القلب النقى لابد أن يأتى بثمر جيد والشجرة التى لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار .

إن الموعظة على الجبل متعة روحية للمؤمن المسيحى ، وهى سراج له فى غربته فى العالم الذى وضع فى الشرير ... وعليه أن يحفظها فى قلبه فهى كلمات الرب يسوع ذاته ... والتى فى طاعته لها إعلان عن صدق بنوته ومحبته وأمانته لله .

وأغسطينوس عرض هذا الجزء من الموعظة فى سهولة وعمق يدفعانك للتلذذ بهذه الكلمات الجذابة... بل إنك بعد قراءة هذا الكتاب ستعشق هذه الكلمات وتحفظها فى قلبك كيما تتحول إلى تداريب روحية فى حياتك... بل أنت تتحول إلى إنسان مجاهد مدقق فى حياته .

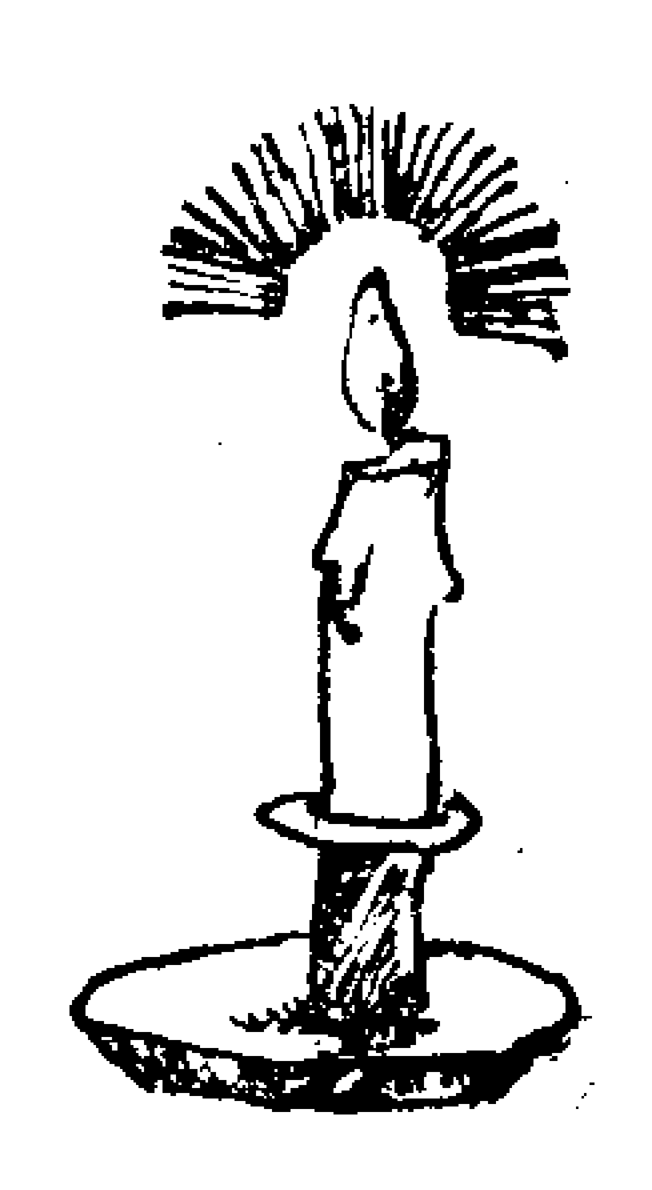
ويجدر بنا أن نسجل بالشكر المجهود الذى قام به القمص أنطون

بد الملك فى مراجعة الكتاب ، الرب يعوضه عن أتعابه .

الرب قادر أن يجعل فى هذا الكتاب بركة لكل قارىء وسلماً
وحياً فى حياته ، وأن يبارك فى مجهودات المترجم لمجد اسم الله
القدوس ولبركة الكنيسة الحية المجاهدة النامية ، ببركة وطلبات
بينا الحبيب الأنبا كيرلس السادس نفعنا الله بصلواته . آمين ؟

القس بيشوى كامل

الاسكندرية فى أول يناير ١٩٦٤



نقاوة القلب ومديح الناس

١

اهمية نقاوة القلب

لقد انتهينا فى الكتاب الاول من الحديث عن « الرحمة » . والآن نبدأ بالحديث عن « نقاوة القلب » .

ونقاوة القلب تعنى نقاوة العين التى بها نعاين الله ، ولاشك يزداد اهتمامنا بنقاوة القلب قدر ما يكون ما نراه بالقلب عظيما .

نقاوة القلب ومديح الناس

ومهما بلغ اهتمامنا بنقاوة القلب ، فلن نستطيع أن نمنع بعض النجاسات من التسلل إليه ، من ذلك مديح الناس لنا على أعمالنا الصالحة . فإن سلكت سلوكا شريراً ، كان ذلك مضراً لك . وإن أردت أن تحيا حياة مستقيمة دون أن يمدحك أحد ، فستتضايق لأن فى عدم مدحهم للحياة المستقيمة شـــراً . فإن لم يمدحوك أخطأوا ، وإن مدحت صرت أنت فى خطر من مدحهم ، ما لم يكن قلبك نقياً .

فقلبك يكون نقياً متى سلكت باستقامة لا لإرضاء الناس .

بل رغبة فى مدح الحق فى ذاته . لذلك ستسلك باستقامة ولو لم يمدحك أحد ، غير أنك تدرك أن مدحهم للحق يكون مفيداً لهم ، طالما لا يمدحونك أنت بل يمجدون الله الساكن فيك أنت هيكله . وبذلك يتم قول النبى « بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون » [1] . فالعين النقية لا تتطلع إلى المديح عند صنعها للحق ، ولا تهتم بنظرة الناس عند فعلها للخير ، لأنها لا تفعله لأجل ارضائهم . فإن كنت لا تنظر إلا إلى مديحهم - هؤلاء الذين بسبب جهلهم ما بداخل قلب الانسان يمدحون حتى الأعمال الباطلة - فستكون مستعداً لأن تزيف أعمالك حتى تبدو صالحة ، وبذلك يكون قلبك مزدوجاً . فالقلب لا يكون نقياً ما لم يسمو على مديح الناس مهتما بالله وحده ، مجاهداً فى إرضاء فاحص القلوب وحده .

فكلما قل اشتياقك نحو مديح الناس إليك ، أنتج قلبك النقى أعمالا تستحق ثناء أعظم .

٢

احترزوا أن تصنعوا صدقتكم (بركم) قدام الناس لكى ينظروكم .

---

(١) مز ٣٤ : ٢ .

أى احترزوا من السلوك بالبر لأجل هذا الهدف ، فتتركز سعادتكم فى نظرة الناس إليكم « وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » . وفقدانكم للأجر السماوى لا يكون بسبب نظرة الناس إليكم بل لسلوككم بهذا الهدف . لأنه ماذا يقصد بقوله فى مقدمة الموعظة « أنتم نور العالم،لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت . فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » [1] أى لا يكون الهدف هو مديح الناس بل تمجيد الآب السمائى .

ففى هذا الإصحاح لم يمنعنا الرب من صنع البر أمام الناس لكنه حذرنا من أن نصنعه بغرض الظهور أمامهم .

٣

يقول الرسول « فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » [2] ، بينما يطلب ارضاءهم فى موضوع آخر إذ يقول « كما أنا أيضاً أرضى الجميع فى كل شىء » . وقد يحسب قليلو

---

(١) مت ٥ : ١٤-١٦ . (٢) غلا ١ : ١٠ .

أى احترزوا من السلوك بالبر لأجل هذا الهدف ، فتتركز سعادتكم فى نظرة الناس إليكم « وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » . وفقدانكم للأجر السماوى لا يكون بسبب نظرة الناس إليكم بل لسلوككم بهذا الهدف . لأنه ماذا يقصد بقوله فى مقدمة الموعظة « أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت . فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » [1] أى لا يكون الهدف هو مديح الناس بل تمجيد الآب السمائى .

فى هذا الإصحاح لم يمنعنا الرب من صنع البر أمام الناس لكنه حذرنا من أن نصنعه بغرض الظهور أمامهم .

٣

يقول الرسول « فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » [2] ، بينما يطلب ارضاءهم فى موضوع آخر إذ يقول « كما أنا أيضاً أرضى الجميع فى كل شىء » . وقد يحسب قليلو

---

(١) مت ٥ : ١٤ـ١٦ .   (٢) غلا ١ : ١٠ .

الفهم وجود تناقض بين القولين .

لقد قال بعدم ارضائه للناس، لأنه اعتاد على صنع البر لإرضاء الله لا البشر ،والذى لمحبته لله يريد تغيير قلوب البشر وهذا يتطلب ارضاءهم . فبحق لم يكن يرضيهم ، وبحق أيضاً يعلمنا بضرورة إرضاء البشر ، لا لجزاء لنا على أعمالنا الحسنة ، بل لأنه من لايقدم نفسه كمثال لمن يرغب فى خلاصهم لا يكون قد أرضى الله ، وفى نفس الوقت لا يمكن أن يمتثلوا بمن لم يرضيهم .

إن هذا الأمر يشبه إنساناً يبحث عن سفينة يصل بها إلى وطنه ، ففى بحثه يقول إنه لا يطلب السفينة بل يطلب وطنه ، وهو فى قوله هذا لم يكذب لأنه لا يطلب السفينة فى ذاتها ، بل لأجل الوصول إلى وطنه . هكذا يليق بالرسول أن يقول « فى ارضاء الناس لست أرضيهم بل أرضى الله ، لأننى لا أهدف نحو ارضائهم فى ذاته بل أرغب فيمن أطلب خلاصهم أن يقتدوا بى » .

وهذا يشبه قوله عن العطاء الذى جمع للقديسين « ليس لأنى أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم »[1] فهو لا يطلب

(١) ١ كو ٣٢ : ٣٣ .

العطية لذاتها ، بل لكونها ثمرتهم . فإذ قدموا بإرادتهم ما طلبه منهم ، أعلن تقدمهم لا بحسب العطية التى أخذها بل بكونها دليل على محبتهم .

٤

وعندما أكمل قوله « وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » لم يشر إلا إلى التحذير من طلب مديح الناس كجزاء لأعمالنا .

† † †

الصدقة ونقاوة القلب

٥

« فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لـكى يمجدوا من الناس » .

يجب ألا نشتاق إلى الظهور بمظهر المرائين ، هـؤلاء الذين يظهرون للنـــاس بغير ما فى داخل قلوبهم . فهم ، يتقمصون شخصيات الآخرين . فمن يقوم بدور Agamenom فى مأساة... لا يتحول إلى نفس الشخصية بل يتقمص شخصيته ، ولهذا يدعى مرائى . والأمر عينه فى الـكنيسة أو فى أى وجـــه من أوجه الحيـاة ، فمن يأخذ مظهراً مختلفاً عما فى داخـله يكون مرائياً . فيتظاهر بالبر ، مخفياً حقيقة نفسه ، واضعاً كل جزاء أعماله فى مديح الناس... فهؤلاء لا ينالون جزاء من الله فاحص القلوب ، بل عقـاباً على خداعهم . لقد نالوا جزاءهم من البشـر . ولذلك يقول « قد استوفوا أجرهم » ، كما يقول لهم « إبعدوا عنى يا أيها المخادعين ، فأنتم أخذتم اسمى ولم تعملوا أعمالى » .

إن من يقدم صدقته لا لشىء سوى نوال مجد بشرى ، يكون قد استوفى أجره ، لا لنواله المجد البشرى ، ولـكن لمجرد تصرفه

بهذا الهدف . أما من يصنع البر ولا يرغب فى مديح النـاس ، فسيلتصق به المدح وينتفع بواسطته كثيرون ، مقتدين به ، دون أن يشعر هو بانتفاعه شيئاً من مديحهم .

٦ : ٧

تقديم الصدقة فى الخفاء

وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعـل يمينـك .

« يناقش أغسطينوس ما يقصد بكلمة « شمالك » الذى يخفى عنه الصدقة هل هو غير المؤمنين أم الأعداء أم الزوجة أم حب مديح الناس ؟ » .

١ — **غير المؤمنين** : إن فهمنا كلمة « شمالك » على أنه غير المؤمنين ، كان معنى هذا أننا لا نخطىء إذا اهتممنا بإرضـاء المؤمنين وحدهم ، مع أن الرب يمنعنا من أن يكون هدفنا هو إرضاء الناس أياً كانوا .

ومن ناحية أخرى ، إن من يسر بك قد يقتدى بك ، لذلك وجب علينا أن نعمل حسناً لا أمام المؤمنين فحسب ، بل وغير المؤمنين أيضاً ، حتى يمجدوا الله بأعمالنا الصالحة التى نصنعها ، فيقبلون على الخلاص .

٢ — **الأعداء** : لو كان « الشمال الذى لا نعرفه ما تصنعه يميننا » هو العدو ، فلماذا كان الرب يشفى بمراحمه البشر ، بينما كان اليهود « الأعداء » حوله ؟ ! ولماذا جلب الرسول بطرس غضب الأعداء عليه وعلى بقية التلاميذ ، بإبرائه المقعد الذى كان يطلب صدقة عند باب الجميل [١] ؟ !

وإن كان من الضرورى علينا ألا نعرف العدو ما نصنعه من صدقات فكيف ننفذ الوصية « إن جاع عدوك فاطعمه خبزاً »؟!

٣ — **الزوجة** : لقد اعتاد الشهوانيون إعتبار الزوجة هى الشمال الذى لا نعرفه ما تصنعه يميننا . وهذا رأى باطل وسخيف. ولم أكن أرغب فى الإشارة إليه لو لم يسقط فيه كثيرون ، فمن المعروف أن النساء أكثر بخلاً فى الانفاق على الاحتياجات المنزلية ، لذلك يخبىء الرجال عنهن ما يتصدقون به حتى لا تحدث منازعات عائلية . وكأن الرجال وحدهم هم المسيحيون ، وكأن الوصية لم توجد للنساء ، وإلا فما هو شمال المرأة الذى تخبىء عنه صدقتها ؟ ! هل يعتبر الرجل شمال الزوجة ؟ !.

إن هذا التفسير يفسد النص ، فإذ يحسب كل من الطرفين

---

(١) أع ٣ : ٤ .

أن الآخر شمال بالنسبة له، لتصرف كل منها فى ممتلكات الأسرة بغير إرادة الطرف الآخر. ومثل هذا الزواج لا يكون مسيحياً.

إنه ينبغى على كل منهما أن ينفذ وصية الرب بتقديم الصدقة. فإن عارض أحدهما الوصية، كان غير مؤمن، وعندئذ يكون أحدهما مؤمناً والآخر غير مؤمن. وبذلك ينبغى على المؤمن أن ينفذ الوصية التى تطلب منه أن يربح غير المؤمن، وذلك بالتفاهم الهادىء، والسلوك الحسن. فعلى المؤمن ألا يخبىء أعماله الحسنة عن الطرف الآخر حتى يستطيع أن يجذبه إلى شركة الإيمان المسيحى. فينبغى ألا ترتكب السرقة بتصدق طرف دون علم الآخر.

٨

٤ — **الرغبة فى مديح الناس :** إذا قارنا حديث الرب عن البر عامة « احترزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » بحديثه الخاص عن الصدقة « فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس » نجد تطابقاً بينهما.

أن الآخر شمال بالنسبة له ، لتصرف كل منها فى ممتلكات الأسرة بغير إرادة الطرف الآخر. ومثل هذا الزواج لا يكون مسيحياً.

إنه ينبغى على كل منهما أن ينفذ وصية الرب بتقديم الصدقة. فإن عارض أحدهما الوصية ، كان غير مؤمن ، وعندئذ يكون أحدهما مؤمناً والآخر غير مؤمن . وبذلك ينبغى على المؤمن أن ينفذ الوصية التى تطلب منه أن يربح غير المؤمن ، وذلك بالتفاهم الهادىء ، والسلوك الحسن . فعلى المؤمن ألا يخبىء أعماله الحسنة عن الطرف الآخر حتى يستطيع أن يجذبه إلى شركة الإيمان المسيحى . فينبغى ألا ترتكب السرقة بتصدق طرف دون علم الآخر .

٨

٤ ــ **الرغبة فى مديح الناس :** إذا قارنا حديث الرب عن البر عامة « احترزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » بحديثه الخاص عن الصدقة « فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس » تجد تطابقاً بينهما .

بنية صادقة ، لكن يشوبها حب المديح أو الرغبـــة فى تحقيق هدف زمنى زائل . لهذا يمنعنا الرب من صنع الصدقة بالشمال ، كما يمنعنا من خلط أعمال اليد اليمنى (النية الصادقة) باليد اليسرى (حب الظهور أو وجود هدف زمنى) . . .

ونحن إذ نناقش نقاوة القلب ، نقول بأنه لا يكون نقياً ، ما لم يكن له هدف واحد . وهـــذا لا يتم مادام القلب يخدم سيدين ، أى إن شاب نقاوة قلبه حبه للأمور الزمنية ، فلا يجاهد لتنقيته بتوجيهه نحو الروحيات وحدها . . .

✝ ✝ ✝

الصلاة ونقاوة القلب

١٠

ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس .

لا أجد هنا داعياً لتكرار نفس القاعدة التى ينبغى علينا مراعاتها . فقد كرر رب المجد فى « الصلاة » ما قاله فى الصدقة محذراً إيانا من الجهات لابتغاء هذا الأجر الذى يسر به الجهلاء .

١١

وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك، واغلق بابك وصل الى ابيك الذى فى الخفاء .

أليست هذه المخادع هى قلوبنا التى جاءت فى المزمور « ما تقولونه فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم » [1] غير أن الدخول إلى المخدع سيكون تافهاً إذا تركنا الباب مفتوحاً ، فستقتحمه الأدناس حيث تدخل إلى داخلنا وتهاجم إنساننا الداخلى . إن ما بالخارج هو أشياء منظورة زائلة ، تدخل من الباب أى بواسطة الحواس إلى أفكارنا وبضجيج تخيلاتها تعوق

(١) مز ٤ : ٤ .

الذين يصلون . لذلك وجب غلق الباب أى ضبط الحواس حيث تتجه الصلاة الروحية إلى الآب . فنقدم الصلاة من أعماق القلب إلى الآب الذى فى الخفاء .

وابوكم الذى فى الخفاء يجازيكم

يعطينا رب المجد درساً لا عن أهمية الصلاة بل كيفيتها . وذلك كما فعل فى موضوع الصدقة حيث لم يتكلم عن ضرورتها ، بل بأى روح نقدمها . وإذ يعلمنا عن نقاوة القلب ، فإن القلب يحتاج إلى الجهاد ذى الهدف الواحد أى الذى يهدف نحو الحياة الأبديــــة .

١٢

وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم. فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم .

فـكما أنه من خـواص المرائين حب الظهـور ، كذلك من صفات الوثنيين تـكرار الـكلام ظانين أنه بذلك يستجاب لهم . وهذه الـكثرة ليست نابعة عن تدريبهم لنقاوة القلب بل تدريبهم للسان . وبسعيهم الباطل هذا يحاولون تغيير إرادة الله ، حاسبين أن الله مثل الإنسان يخدع بـكثرة الـكلام .

فلا تتشبهوا بهم لأن اباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل ان تسالوه .

يحتاج الجاهل إلى كلمات كثيرة ليتعلم ويتثقف ، ولكن ما حاجة الله إلى مثل هذه الكلمات فى الصلاة وهو العالم بكل شيء ؟!.. فكل الامور الماضية والمستقبلة لا تختفى عن معرفته وكلمته ، بل هى ماثلة أمامه .

١٣

هل هناك حاجة للصلاة باللسان ؟

إن كان رب المجد يعلمنا أن نصلى بكلمات قليلة ، فعلمنا الصلاة الربانية ، فما هى الحاجة إليها طالما هو يعلم بكل الامور قبل كونها ، ويعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله ؟ .

وللاجابة على هذا السؤال نذكر أنه ينبغى علينا أن نثابر على طلبتنا من الله ، لا بالكلام وإنما بانشغالنا بها وبتوجيه أفكارنا بالمحبة الخالصة والاشتياق الصادق . أما السبب فى تعليم الرب لنا لهذه الافكار بواسطة كلمات تنطق بها فى الصلاة ، فذلك لاستعادة الافكار أثناء الصلاة.

١٤

هل هناك حاجة للصلاة ؟

ما الحاجة للصلاة كلية ، سواء أكانت بالفكر أو باللسان،

ما دام الله يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله ، اللهم إلا إذا كان فى مجرد وقوفنا للصلاة ما يهدىء من قلوبنـا وينقيها ويجعلها أكثر استعداداً لقبول عطايا الله الروحية التى تتدفق علينا . فالله مستعد أن يعطى على الدوام نوره العقلى الروحى ، لكننا نحن غـير مستعدين دوماً لقبول هذا النور ، وذلك بسبب محبتنا للأمور الزمنية ، وبسبب ظلمتنا النابعة عن اشتهائنا للزمنيات .

من ثم وجب علينا أن نسعى للصلاة ، حتى ترتفع قلوبنا إلى الرب المستعد على الدوام أن يعطينا ، إن أردنا أخـذ ما يعطيه إيانا . فرفع القلب نحو الله ، يعمل على تنقية العين الداخليـة ، وذلك قدر تخيلها عن هذه الأمور الزمنية . وبهذا يستطيع القلب احتمال النور الحقيقى ، الشعاع الإلهى دون أى أقوال أو تعبير . وبهذا لا يكون فقط مستعداً لاحتمال هذا النور ، بل والبقاء فيه بفرح غير منطوق به ، دون أى ضيق ، وبهذا نكمل بحق وصدق الحياة المطوبة .

† † †

الصلاة الربانية

١٥

لنتأمل الآن فيما علمنا الرب ما نصـــلى به له . فالذى علمنا الصلاة هو الذى يستجيب لها . إنه يقول : « فصـلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات . . . . الخ » .

أبانـا

فينبغى أن تتفق صلاتنا مع إرادة من نصلى إليه الصالحة ، وذلك بتمجيده فى افتتاحية الصـلاة . لهذا أمرنا ألا نبـدأ إلا بالقول « أبانا الذى فى السموات » .

حقـاً تنتشر بين صفحـات الـكتاب المقدس كلمـات كثيرة خاصة بتمجيـد الله ، لـكننا لم نجد قط وصيـة لشعب اليهود أن يقولوا « أبانا » أى لا يصلون إليه بكونهم أبناء بل عبيداً ، أى بكونهم ما زالوا يحيون بحسب الجسد .

أقول بأنهم لم يتخـذوا الله أباً لهم ، ذلك لأنه كان يمكنهم ذلك لو لم يعصـــوا الشريعة التى أمروا بحفظها ، لذلك جاءت النصوص التالية :

« ربيت بنيناً ونشأتهم ، أما هم فعصوا على » [1]

« أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » [2] .

« فإن كنت أنا أباً فأين كرامتى » [3] . . . الخ .

هذه النصوص تظهر عدم قبولهم كأبناء لله كما أنها نبوة لما سيكون عليه المسيحيون الذين يتخذون الله أباً لهم ، وذلك كقول الإنجيلى « فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله » [4]. وقول الرسول بولس « مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد » [5] ، مشيراً إلى روح التبنى الذى أخذناه ، والذى به نصرخ يا أبا الآب » [6].

١٦

بالحقيقة دعينا لنشارك السيد المسيح فى الميراث ، ولنأخذ روح التبنى ، لا بحسب استحقاقنا ، بل بنعمة الله . لذلك تتخذ هذه النعمة موضعها فى افتتاحية صلاتنا بقولنا « أبانا » . وتنبعث المحبة من دعوتنا له « أبانا » لأنه أى شيء أحب إلى الأبناء أكثر

---

(١) أش ١ : ٢.   (٢) مز ٨٢ : ٦.   (٣) ملا ١ : ٦.
(٤) يو ١ : ١٢.   (٥) غلا ٤ : ١.   (٦) رو ٨ : ١٥.
(أنظر غلا ٤ : ١ ـ ٦ ، رو ٨ : ١٥ ـ ٢٣) .

من أبيهم ؟ ! كما يجد البشر فى الصلاة بهذه الكلمة جرأة لاخذ ما قد أوشكوا أن يسألوه لأنهم نالوا عطية عظيمة كهذه ، وهى أن يدعوا الله « أباً لهم » . فإن كان الله قد وهبهم أن يكونوا أبناء له ، فأى العطايا يحرمهم منها ؟ ! . .

وأخيراً أى جزع ينتاب الفكر عندما ينادى الله « أبانا » دون أن يبرهن على جدارته كإبن لأب عظيم كهذا ؟ ! فلو سمح لرجل عامى أن يدعو أحد العظماء المتقدمين فى السن أباً له ، أفلا يضطرب . ولا يجسر على دعوة ذلك العظيم أباً له بسبب إتضاع أصله وفقره وأميته ، فكم بالأكثر يكون حالنا عندما ندعو الله أباً لنا ؟ ! . . لنرتعب إن كان يشوب حياتنا عار عظيم وانحطاط شديد . . . الأمر الذى لا يمكن أن يوجد فى أبينا ، ناظرين إلى أن الرجل العظيم يخشى من إنتساب الفقير له بسبب فقره . حقاً إن العظيم يزدرى بما فى الفقير من فقر ، الأمر الذى يتعرض له العظيم نفسه ، أما الله فلن يلتصق به العار والانحطاط قط . فشكراً لمراحم الله التى تتطلب منا أن ندعوه « أبانا » تلك العلاقة التى ننالها دون أن ندفع ثمناً ما من جانبنا بل أخذناها بإرادته الصالحة .

هنا نجد تعليماً للأغنياء أيضاً ، وذوى النسب الرفيع ـ الأمر

الذى يهتم به العالم - وهو أنه ينبغى عليهم متى صاروا مسيحيين ألا يفتخروا على الفقراء وبسيطى النسب ، لأن جميعهم يدعون الله « أبانا » اللقب الذى لايمكنهم أن يتفوهوا به بصدق وتقوى مالم يعلموا أنهم إخوة .

١٧

الذى فى السموات

ليت المسيحيين الذين دعوا إلى الميراث الأبدى يفهمون تلك الكلمات « الذى فى السموات » على أنها « الذى فى القديسين والابرار » ، لأن الله لا يحده مكان معين . فالسموات هى الجزء المرتفع على الأجسام المادية فى العالم ومع ذلك فهى مادية . لذلك فهى محدودة بحيز إلى حد ما . فإن اعتقدنا أن الله كائن بالجزء العلوى من العالم ، فستكون الطيور أفضل منا لأنها تحيا بالقرب من الله . غير أنه لم يكتب « قريب هو الرب من طوال القامة أو سكان الجبال » بل « قريب هو الرب من المنكسرى القلوب »[١] إشارة إلى الاتضاع . فإن كان الأشرار قد دعوا « أرضاً » ، هكذا يدعى الأبرار « سماء ». وقد قيل عنهم « لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو »[٢]. فإن كان الله يسكن فى هيكله وقد دعا

---

(١) مز ٣٤ : ٨ .　　(٢) ١ كو ٣ : ١٧ .

القديسين هيكلاً له ، لذلك فإن القول « الذى فى السموات » يعنى « الذى فى القديسين » إذ تليق المناظرة بين الأبرار والأشرار روحياً بالسماء والأرض مادياً .

١٨

وتظهر هذه المناظرة بين السماويات والماديات فى وقوفنا أثناء الصلاة متجهين نحو الشرق ، حيث تشرق الشمس ، ليس لأن الله ساكن هناك فقط نابذاً الأماكن الأخرى فى العالم بل لأن اتجاه أجسادنا الأرضية نحو أعظم الأجسام سمواً (الشمس) يهيء العقل للإتجاه نحو الله الأسمى من طبيعته .

إن هذه الطريقة مناسبة جداً فى جميع مراحل العبادة كما هى مفيدة فى درجتها العالية ، إذ تؤهل عقول الكبار والصغار لإدراك الله . فالذين لا زالوا يدركون الجمال المنظور دون أن يكون فى مقدرتهم إدراك جمال الأمور السماوية ، هؤلاء يلزمهم التمييز بين السماء والأرض ، حتى يصبح تفكيرهم سليماً . فلو اعتقدوا أن الله الذى يفكرون فيه بصورة مادية فى السماء أكثر منه فى الأرض ، ففى المستقبل متى تعلموا أن الروح ينبغى عليها أن تتعدى حدود الأجسام السماوية ، حينئذ سيبحثون عن الله فى

الروح وليس فى جسم منظور (السماء) . بعد ذلك يستطيعون التمييز بين أرواح الخطاة وأرواح الأبرار . لأنه سبق لهم أن ميزوا بين السماء والأرض . وبذلك يستطيعون أن يطلبوا الله بإيمان قويم أو عقـــل راجح بكونه فى أرواح الأبرار عنه فى أرواح الأشرار .

على ذلك يفهم القـول « الذى فى السموات » على أنه « فى قلوب الأبرار أى فى هيكله » . فيرغب المصلى أن يسكن الله فيه أيضاً . فيجاهد لأجل سكنى الله فى قلبه بصنعه البر ، الأمر الذى يجذب الله ليسكن فى روحه .

١٩

بعد أن وضح ذاك الذى نصل إليه ، ومكان سكناه نبحث الآن فى الطلبات التى نسألها وهى :

اولا — ليتقدس اسمك

إننا نطلب هذه الطلبة لا لكون إسمه غير مقدس ، بل لكى نراه مقدساً ، أى نطلب ألا نرى شيئاً أكثر قداسة منه ، خائفين من معارضته . فقد قيل « الله معروف فى يهوذا اسمه عظيم فى إسرائيل » (١) . فلا يفهم هـذا كما لو كان اسمه عظيماً فى مكان

(١) مز ٧٦ : ١ .

أكثر من آخر ، بل يكون عظيماً حينما دعوناه عظيماً . وهكذا يقال ان إسمه قدوس حينما دعى بوقار وخشى من معارضته . وهذا ما نسعى لتحقيقه بالتبشير بالإنجيل ليدعى اسم الله الواحد بواسطة تدبير ابنه .

٢٠

ثانيا – ليأت ملكوتك

إنه يعلمنا بأن يوم الدينونة آت فى الوقت الذى فيه يبشر بالإنجيل بين الامم [١]، هذا الذى فيه يتقدس اسم الله . على أن القول « ليأت ملكوتك » لايعنى عدم امتلاكه الآن .

قد يحسب البعض أن القول « ليأت » يقصد به إنه يأتى على الارض كما لو لم يملك على الأرض منذ تأسيس العالم إلى الآن ، غير أن المعنى الصحيح له هو أنه ليعلن ملكوتك للبشر ، مثال ذلك النور الذى يبدو للأعمى والذى يغمض عينيه كما لو كان غير موجود . هكذا يبدو هذا الملكوت غير واضح لمن يجهلونه رغم عدم انفصال ملكوت السموات قط من على الارض؛ أما المجىء الثانى للابن الوحيد من السماء ، فإنه لن يسمح لأحد أن يجهل ملكوت الله ، فعند مجيئه لايدرك البشر ملكوت الله بالطريقة

(١) أنظر مت ٢٤ : ١٤ .

التى يدركها الفاهمون الآن ، لأنهم سينظرونه يدين الأحياء والأموات ، فيحدث تمييزاً وانفصالا بين الأبرار والأشرار ويسكن الله فى الأبرار . عندئذ لا يحتاجون بعد إلى من يعلمهم ، بل كما هو مكتوب . إن الجميع يكونون « متعلمين من الله » . فكما أن أعظم الملائكة السمائيين القديسين المباركين هم حكماء ومطوبون الآن لأن الله وحده نورهم ، هكذا فى الأبدية تكمل حياة القديسين المطوبة من جميع نواحيها ، إذ وعد الرب قائلا « لأنهم فى القيامة ... يكونون كملائكة الله فى السماء »[1] .

٢١

ثالثا – لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الارض

ا ـ فكما تعمل إرادتك فى الملائكة سكان السماء ، حتى إنهم ملتصقون بك تماماً ومتمتعون بك كلية ، ولا تشوب حكمتهم خطأ ، ولا يمس سعادتهم شقاء ، هكذا لتكن إرادتك أيضاً فى قديسيك قاطنى الأرض . فرغم كون مسكنهم هو السماء ، ورغم أنهم سيتغيرون إلى صورة سماوية إلا أنهم مأخوذين من الأرض . وقد أشارت الملائكة إلى هذا بقولها فى تسبحتها « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة »[2] . فعندما تسير

(١) مت ٢٢ : ٣٠ . (٢) لو ٢ : ١٤ .

إرادتنا وفق إرادة الله ، حينئذ تكمل إرادته فينا كما هى كاملة فى الملائكة السمائيين ، عندئذ لا توجد مقاومة فى طريق سعادتنا. وهذا هو السلام .

ب ـ يمكن أيضاً فهم هذه الطلبة على أننا نطلب أن تطاع وصايا الله كما فى السماء كذلك على الأرض أى كما تطيع الملائكة وصايا الله هكذا فليطعها البشر أيضاً. فمشيئة الله تتم بتنفيذ وصاياه ، ويؤكد رب المجد نفسه ذلك بقوله « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى »[1] . كما كرر « لأنى قد نزلت ... ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى»[2] . ويقول « ها أمى وإخوتى. لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى»[3] . فمشيئة الله تتم فيمن ينفذها ليس لأن بتنفيذها يجعلونه يشاء ذلك ، بل لأنهم يعملون ما يشاء هو أن يسلكوا به .

٢٢

جـ ـ هناك تفسير ثالث لهذه الطلبة ، وهو أن تكون مشيئته فى الخطاة كما فى القديسين والأبرار . وهذا التفسير يمكن فهمه بإحدى الطريقتين التاليتين :

(١) أن نصلى من أجل أعدائنا الذين لا يشاءون نشر

---

(١) يو ٤ : ٣٤ . (٢) يو ٦ : ٣٨ .

(٣) لو ١٢ : ٤٩ ، ٥٠ .

المسيحية والكنيسة الجامعـــة فكأننا نطلب قائلين « كما يصنع الابرار مشيئتك هكذا ليت الأشرار (غير المؤمنين) يصنعونها برجوعهم إليك .

(٢) إننا نطلب منه أن ينال كل شخص استحقاقه ، وهذا ما سيتم فى يوم الدينونة حيث يكافىء الابرار بالجزاء والخطاة بالعقاب وذلك عند فصله الخراف عن الجداء [1].

٢٣

د - لا يعتبر تفسير السماء والأرض على أنهما الروح والجسد تفسيراً خاطئاً ، بل يطابق إيماننا ورجائنا تماماً . فإذ يقـــول الرسول « إذاً أنا بنفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » ، لذلك نجد أن الروح (الذهن) يصنع مشيئة الله . ففى القيامة من الأموات يبتلع الموت فى نصرة ، ويأخذ هذا المائت عدم الموت ، لهذا الذى وعد به الأبرار حسب نبوة الرسول بولس [2]. فكما تتم مشيئته بالتمام فى السماء (فى القيامة من الأموات) ، هكذا لتتم على الارض أيضاً ، وكما تتبع الروح الله وتصنع مشيئته دون أية مقاومة ، ليته كذلك الجسد لا يقاوم الروح بصفاته وعاداته الجسدية .

---

(١) أنظر مت ٢٥ : ٣٢ ـ ٤٦ .   (٢) أنظر ١ كو ١٥ : ٤٢ ، ٤٥ .

فى الحيـاة الأبدية لا تـكون المشيئة حاضرة أمامنا فحسب.
بل ونجد فى تنفيذها سلاماً كاملاً. بينما فى الحياة الحاضرة يقول الرسول « لأن الإرادة حاضرة عنـدى وأما أن أفعـل الحسنى فلست أجد »[1] لأننا لا زلنا لا ننفـذ مشيئة الله بالتمـام كما فى السماء، أى لا ننفذها بالتمام فى الجسد كما فى الروح.

إن مشيئة الله تتم فى شفائنا، لأننا نحتمـله باستحقاق... لـكننا نصلى لكى تنفـذ مشيئته على الأرض كما فى السـماء أى كما نسر بناموس الله فى قلوبنا بحسب الإنسان الباطن[2]، هكذا نطلب تغيـير أجسادنا حتى لا يوجد فيها ما يقـاوم هذه المسرة بناموس الله، وذلك بسرورنا أو حزننا لأمور العالم.

٢٤

هـ — يمكن أيضاً فهم هذه الطلبة على أنه لتـكن مشيئته كما فى ربنا يسوع المسـيح نفسه هكذا، فلتـكن فى الـكنيسة أيضـاً. فكأننا نقول لتـكن مشيئتك كما فى الرجل الذى ينفذ مشيئة الرب هكذا فلتـكن فى المرأة التى خطبت له أيضـاً، لأنه يليق بنـا أن نفهم السماء والأرض، كما لو كان رجـلاً وزوجته إذ الأرض تثمر بواسطة السماء.

---

(١) رو ٧ : ١٨.   (٢) أنظر رو ٧ : ٢٢.

٢٥

رابعا – خبزنا اليومى أعطنا اليوم

١ – قد يقصد بالخبز اليومى الاحتياجات الضرورية لهذه الحياة، فقد أشارت هذه الطلبة إلى قول السيد « لا تهتموا للغد »، بقولها « أعطنا اليوم ».

٢ – وقد يقصد به التناول من جسد ربنا يسوع المسيح الذى نأخذه يومياً.

٣ – وقد يقصد به الغذاء الروحى إذ قال الرب « إعملوا لا للطعام البائد »[١] وأيضاً « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء »[٢]. ولكن السؤال موضع الاعتبار هو أى وجهات النظر الثلاثة أصوب؟ لأن البعض يندهشون كيف نصلى من أجل الاحتياجات المادية اللازمة لهذه الحياة كالطعام والملبس مثلاً، بينما يقول الرب « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون »[٣] فهو يطلب منا أن نقدم الصلاة الربانية بشغف عظيم حتى طلب منا غلق المخادع أثناء الصلاة بها، « اطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ». فكيف يمكن لشخص ما أن يطلب الأمور الزمنية دون أن يهتم بما يطلبه فى الصلاة؟!.

---

(١) يو ٦ : ٧ (٢) يو ٦ : ٤١ (٣) مت ٦ : ٢٥

أن الآخر شمال بالنسبة له ، لتصرف كل منها فى ممتلكات الأسرة بغير إرادة الطرف الآخر. ومثل هذا الزواج لا يكون مسيحياً.

إنه ينبغى على كل منهما أن ينفذ وصية الرب بتقديم الصدقة. فإن عارض أحدهما الوصية ، كان غير مؤمن ، وعندئذ يكون أحدهما مؤمناً والآخر غير مؤمن . وبذلك ينبغى على المؤمن أن ينفذ الوصية التى تطلب منه أن يربح غير المؤمن ، وذلك بالتفاهم الهادىء ، والسلوك الحسن . فعلى المؤمن ألا يخبىء أعماله الحسنة عن الطرف الآخر حتى يستطيع أن يجذبه إلى شركة الإيمان المسيحى . فينبغى ألا ترتكب السرقة بتصدق طرف دون علم الآخر .

٨

٤ — **الرغبة فى مديح الناس :** إذا قارنا حديث الرب عن البر عامة « احترزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » بحديثه الخاص عن الصدقة « فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس » نجد تطابقاً بينهما .

أن الآخر شمال بالنسبة له ، لتصرف كل منها فى ممتلكات الأسرة بغير إرادة الطرف الآخر. ومثل هذا الزواج لا يكون مسيحياً.

إنه ينبغى على كل منهما أن ينفذ وصية الرب بتقديم الصدقة. فإن عارض أحدهما الوصية ، كان غير مؤمن ، وعندئذ يكون أحدهما مؤمناً والآخر غير مؤمن . وبذلك ينبغى على المؤمن أن ينفذ الوصية التى تطلب منه أن يربح غير المؤمن ، وذلك بالتفاهم الهادىء ، والسلوك الحسن . فعلى المؤمن ألا يخبىء أعماله الحسنة عن الطرف الآخر حتى يستطيع أن يجذبه إلى شركة الإيمان المسيحى . فينبغى ألا ترتكب السرقة بتصدق طرف دون علم الآخر .

٨

٤ ـ **الرغبة فى مديح الناس :** إذا قارنا حديث الرب عن البر عامة « احترزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » بحديثه الخاص عن الصدقة « فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس » تجد تطابقاً بينهما .

بنية صادقة ، لكن يشوبها حب المديح أو الرغبة فى تحقيق هدف زمنى زائل . لهذا يمنعنا الرب من صنع الصدقة بالشمال ، كما يمنعنا من خلط أعمال اليد اليمنى (النية الصادقة) باليد اليسرى (حب الظهور أو وجود هدف زمنى) . . .

ونحن إذ نناقش نقاوة القلب ، نقول بأنه لا يكون نقياً ، ما لم يكن له هدف واحد . وهذا لا يتم مادام القلب يخدم سيدين ، أى إن شاب نقاوة قلبه حبه للأمور الزمنية ، فلا يجاهد لتنقيته بتوجيهه نحو الروحيات وحدها . . .

† † †

الصلاة ونقاوة القلب

١٠

ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس .

لا أجد هنا داعياً لتكرار نفس القاعدة التى ينبغى علينا مراعاتها . فقد كرر رب المجد فى « الصلاة » ما قاله فى الصدقة محذراً إيانا من الجهات لابتغاء هذا الأجر الذى يسر به الجهلاء .

١١

وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك، واغلق بابك وصل الى ابيك الذى فى الخفاء .

أليست هذه المخادع هى قلوبنا التى جاءت فى المزمور « ما تقولونه فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم » [1] غير أن الدخول إلى المخدع سيكون تافهاً إذا تركنا الباب مفتوحاً ، فستقتحمه الأدناس حيث تدخل إلى داخلنا وتهاجم إنساننا الداخلى . إن ما بالخارج هو أشياء منظورة زائلة ، تدخل من الباب أى بواسطة الحواس إلى أفكارنا وبضجيج تخيلاتها تعوق

(١) مز ٤ : ٤ .

الذين يصلون . لذلك وجب غلق الباب أى ضبط الحواس حيث تتجه الصلاة الروحية إلى الآب . فنقدم الصلاة من أعماق القلب إلى الآب الذى فى الخفاء .

وابوكم الذى فى الخفاء يجازيكم

يعطينا رب المجد درساً لا عن أهمية الصلاة بل كيفيتها . وذلك كما فعل فى موضوع الصدقة حيث لم يتكلم عن ضرورتها ، بل بأى روح نقدمها . وإذ يعلمنا عن نقاوة القلب ، فإن القلب يحتاج إلى الجهاد ذى الهدف الواحد أى الذى يهدف نحو الحياة الأبديـــة .

١٢

وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم. فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم .

فكما أنه من خواص المرائين حب الظهور ، كذلك من صفات الوثنيين تكرار الكلام ظانين أنه بذلك يستجاب لهم . وهذه الكثرة ليست نابعة عن تدريبهم لنقاوة القلب بل تدريبهم للسان . وبسعيهم الباطل هذا يحاولون تغيير إرادة الله ، حاسبين أن الله مثل الإنسان يخدع بكثرة الكلام .

فلا تتشبهوا بهم لأن اباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل ان تسألوه .

يحتاج الجاهل إلى كلمات كثيرة ليتعلم ويتثقف ، ولكن ما حاجة الله إلى مثل هذه الكلمات فى الصلاة وهو العالم بكل شيء ؟!.. فكل الأمور الماضية والمستقبلة لا تختفى عن معرفته وكلمته ، بل هى ماثلة أمامه .

١٣

هل هناك حاجة للصلاة باللسان ؟

إن كان رب المجد يعلمنا أن نصلى بكلمات قليلة ، فعلمنا الصلاة الربانية ، فما هى الحاجة إليها طالما هو يعلم بكل الأمور قبل كونها ، ويعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله ؟ .

وللاجابة على هذا السؤال نذكر أنه ينبغى علينا أن نثابر على طلبتنا من الله ، لا بالكلام وإنما بانشغالنا بها وبتوجيه أفكارنا بالمحبة الخالصة والاشتياق الصادق . أما السبب فى تعليم الرب لنا لهذه الأفكار بواسطة كلمات تنطق بها فى الصلاة ، فذلك لاستعادة الافكار أثناء الصلاة.

١٤

هل هناك حاجة للصلاة ؟

ما الحاجة للصلاة كلية ، سواء أكانت بالفكر أو باللسان،

ما دام الله يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله ، اللهم إلا إذا كان فى مجرد وقوفنا للصلاة ما يهدىء من قلوبنا وينقيها ويجعلها أكثر استعداداً لقبول عطايا الله الروحية التى تتدفق علينا . فالله مستعد أن يعطى على الدوام نوره العقلى الروحى ، لكننا نحن غير مستعدين دوماً لقبول هذا النور ، وذلك بسبب محبتنا للأمور الزمنية ، وبسبب ظلمتنا النابعة عن اشتهائنا للزمنيات .

من ثم وجب علينا أن نسعى للصلاة ، حتى ترتفع قلوبنا إلى الرب المستعد على الدوام أن يعطينا ، إن أردنا أخذ ما يعطيه إيانا . فرفع القلب نحو الله ، يعمل على تنقية العين الداخلية ، وذلك قدر تخيلها عن هذه الأمور الزمنية . وبهذا يستطيع القلب احتمال النور الحقيقى ، الشعاع الإلهى دون أى أقوال أو تعبير . وبهذا لا يكون فقط مستعداً لاحتمال هذا النور ، بل والبقاء فيه بفرح غير منطوق به ، دون أى ضيق ، وبهذا نكمل بحق وصدق الحياة المطوبة .

✝ ✝ ✝

الصلاة الربانية

١٥

لنتأمل الآن فيما علمنا الرب ما نصلى به له . فالذى علمنا الصلاة هو الذى يستجيب لها . إنه يقول : « فصلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات . . . . الخ » .

أبانا

فينبغى أن تتفق صلاتنا مع إرادة من نصلى إليه الصالحة ، وذلك بتمجيده فى افتتاحية الصلاة . لهذا أمرنا ألا نبدأ إلا بالقول « أبانا الذى فى السموات » .

حقاً تنتشر بين صفحات الكتاب المقدس كلمات كثيرة خاصة بتمجيد الله ، لكننا لم نجد قط وصية لشعب اليهود أن يقولوا « أبانا » أى لا يصلون إليه بكونهم أبناء بل عبيداً ، أى بكونهم ما زالوا يحيون بحسب الجسد .

أقول بأنهم لم يتخذوا الله أباً لهم ، ذلك لأنه كان يمكنهم ذلك لو لم يعصوا الشريعة التى أمروا بحفظها ، لذلك جاءت النصوص التالية :

« ربيت بنيناً ونشأتهم ، أما هم فعصوا على » [1]

« أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » [2] .

« فإن كنت أنا أباً فأين كرامتى » [3]. . . الخ .

هذه النصوص تظهر عدم قبولهم كأبناء لله كما أنها نبوة لما سيكون عليه المسيحيون الذين يتخذون الله أباً لهم ، وذلك كقول الإنجيلى « فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله » [4]. وقول الرسول بولس « مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد » [5] ، مشيراً إلى روح التبنى الذى أخذناه ، والذى به نصرخ يا أبا الآب » [6].

١٦

بالحقيقة دعينا لنشارك السيد المسيح فى الميراث ، ولنأخذ روح التبنى ، لا بحسب استحقاقنا ، بل بنعمة الله . لذلك تتخذ هذه النعمة موضعها فى افتتاحية صلاتنا بقولنا « أبانا » . وتنبعث المحبة من دعوتنا له « أبانا » لأنه أى شىء أحب إلى الأبناء أكثر

---

(١) أش ١ : ٢. (٢) مز ٨٢ : ٦. (٣) ملا ١ : ٦.
(٤) يو ١ : ١٢. (٥) غلا ٤ : ١. (٦) رو ٨: ١٥.
(أنظر غلا ٤ : ١ ـ ٦ ، رو ٨ : ١٥ ـ ٢٣) .

من أبيهم ؟ ! كما يجد البشر فى الصلاة بهذه الكلمة جرأة لأخذ ما قد أوشكوا أن يسألوه لأنهم نالوا عطية عظيمة كهذه ، وهى أن يدعوا الله « أباً لهم » . فإن كان الله قد وهبهم أن يكونوا أبناء له ، فأى العطايا يحرمهم منها ؟ ! . .

وأخيراً أى جزع ينتاب الفكر عندما ينادى الله « أبانا » دون أن يبرهن على جدارته كإبن لأب عظيم كهذا ؟ ! فلو سمح لرجل عامى أن يدعو أحد العظماء المتقدمين فى السن أباً له ، أفلا يضطرب . ولا يجسر على دعوة ذلك العظيم أباً له بسبب إتضاع أصله وفقره وأميته ، فكم بالأكثر يكون حالنا عندما ندعو الله أباً لنا ؟ ! . . لنرتعب إن كان يشوب حياتنا عار عظيم وانحطاط شديد . . . الأمر الذى لا يمكن أن يوجد فى أبينا ، ناظرين إلى أن الرجل العظيم يخشى من إنتساب الفقير له بسبب فقره . حقاً إن العظيم يزدرى بما فى الفقير من فقر ، الأمر الذى يتعرض له العظيم نفسه ، أما الله فلن يلتصق به العار والانحطاط قط . فشكراً لمراحم الله التى تتطلب منا أن ندعوه « أبانا » تلك العلاقة التى نناها دون أن ندفع ثمناً ما من جانبنا بل أخذناها بإرادته الصالحة .

هنا نجد تعليماً للأغنياء أيضاً ، وذوى النسب الرفيع ـ الأمر

الذى يهتم به العالم - وهو أنه ينبغى عليهم متى صاروا مسيحيين ألا يفتخروا على الفقراء وبسيطى النسب ، لأن جميعهم يدعون الله « أبانا » اللقب الذى لا يمكنهم أن يتفوهوا به بصدق وتقوى مالم يعلموا أنهم إخوة .

١٧

الذى فى السموات

ليت المسيحيين الذين دعوا إلى الميراث الأبدى يفهمون تلك الكلمات « الذى فى السموات » على أنها « الذى فى القديسين والابرار » ، لأن الله لا يحده مكان معين . فالسموات هى الجزء المرتفع على الأجسام المادية فى العالم ومع ذلك فهى مادية . لذلك فهى محدودة بحيز إلى حد ما . فإن اعتقدنا أن الله كائن بالجزء العلوى من العالم ، فستكون الطيور أفضل منا لأنها تحيا بالقرب من الله . غير أنه لم يكتب « قريب هو الرب من طوال القامة أو سكان الجبال » بل « قريب هو الرب من المنكسرى القلوب »[١] إشارة إلى الاتضاع . فإن كان الأشرار قد دعوا « أرضاً » ، هكذا يدعى الأبرار « سماء » . وقد قيل عنهم « لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو »[٢] . فإن كان الله يسكن فى هيكله وقد دعا

(١) مز ٣٤ : ٨ . (٢) ١ كو ٣ : ١٧ .

القديسين هيكلاً له ، لذلك فإن القول « الذى فى السموات » يعنى « الذى فى القديسين » إذ تليق المناظرة بين الأبرار والأشرار روحياً بالسماء والأرض مادياً .

١٨

وتظهر هذه المناظرة بين السماويات والماديات فى وقوفنا أثناء الصلاة متجهين نحو الشرق ، حيث تشرق الشمس ، ليس لأن الله ساكن هناك فقط نابذاً الأماكن الأخرى فى العالم بل لأن اتجاه أجسادنا الأرضية نحو أعظم الأجسام سمواً (الشمس) يهيء العقل للإتجاه نحو الله الأسمى من طبيعته .

إن هذه الطريقة مناسبة جداً فى جميع مراحل العبادة كما هى مفيدة فى درجتها العالية ، إذ تؤهل عقول الكبار والصغار لإدراك الله . فالذين لا زالوا يدركون الجمال المنظور دون أن يكون فى مقدرتهم إدراك جمال الأمور السماوية ، هؤلاء يلزمهم التمييز بين السماء والأرض ، حتى يصبح تفكيرهم سليماً . فلو اعتقدوا أن الله الذى يفكرون فيه بصورة مادية فى السماء أكثر منه فى الأرض ، ففى المستقبل متى تعلموا أن الروح ينبغى عليها أن تتعدى حدود الأجسام السماوية ، حينئذ سيبحثون عن الله فى

الروح وليس فى جسم منظور (السماء) . بعد ذلك يستطيعون التمييز بين أرواح الخطاة وأرواح الأبرار . لأنه سبق لهم أن ميزوا بين السماء والأرض . وبذلك يستطيعون أن يطلبوا الله بإيمان قويم أو عقل راجح بكونه فى أرواح الأبرار عنه فى أرواح الأشرار .

على ذلك يفهم القول « الذى فى السموات » على أنه « فى قلوب الأبرار أى فى هيكله » . فيرغب المصلى أن يسكن الله فيه أيضاً . فيجاهد لأجل سكنى الله فى قلبه بصنعه البر ، الأمر الذى يجذب الله ليسكن فى روحه .

١٩

بعد أن وضح ذاك الذى نصل إليه ، ومكان سكناه نبحث الآن فى الطلبات التى نسألها وهى :

اولا – ليتقدس اسمك

إننا نطلب هذه الطلبة لا لكون إسمه غير مقدس ، بل لكى نراه مقدساً ، أى نطلب ألا نرى شيئاً أكثر قداسة منه ، خائفين من معارضته . فقد قيل « الله معروف فى يهوذا اسمه عظيم فى إسرائيل » (١) . فلا يفهم هذا كما لو كان اسمه عظيماً فى مكان

---

(١) مز ٧٦ : ١ .

أكثر من آخر ، بل يكون عظيماً حيثما دعوناه عظيماً . وهكذا يقـال ان إسمه قدوس حيثما دعى بوقار وخشى من معارضته . وهذا ما نسعى لتحقيقه بالتبشير بالإنجيل ليدعى اسم الله الواحد بواسطة تدبير ابنه .

٢٠

ثانيا – ليأت ملكوتك

إنه يعلمنا بأن يوم الدينونة آت فى الوقت الذى فيه يبشـر بالإنجيل بين الأمم [١]، هذا الذى فيه يتقدس اسم الله . على أن القول « ليأت ملكوتك » لايعنى عدم امتلاكه الآن .

قد يحسب البعض أن القول « ليأت » يقصد به إنه يأتى على الأرض كما لو لم يملك على الأرض منذ تأسيس العالم إلى الآن ، غير أن المعنى الصحيح له هو أنه ليعلن ملكوتك للبشر ، مثـال ذلك النور الذى يبدو للأعمى والذى يغمض عينيه كما لو كان غير موجود . هكذا يبدو هذا الملكوت غير واضح لمن يجهلونه رغم عدم انفصال ملكوت السموات قط من على الأرض؛ أما المجىء الثانى للابن الوحيد من السماء ، فإنه لن يسمح لأحـد أن يجهل ملكوت الله ، فعند مجيئه لايدرك البشر ملكوت الله بالطريقة

(١) أنظر مت ٢٤ : ١٤ .

التى يدركها الفاهمون الآن ، لأنهم سينظرونه يدين الأحياء والأموات ، فيحدث تمييزاً وانفصالا بين الأبرار والأشرار ويسكن الله فى الأبرار . عندئذ لا يحتاجون بعد إلى من يعلمهم ، بل كما هو مكتوب . إن الجميع يكونون « متعلمين من الله » . فكما أن أعظم الملائكة السمائيين القديسين المباركين هم حكماء ومطوبون الآن لأن الله وحده نورهم، هكذا فى الأبدية تكمل حياة القديسين المطوبة من جميع نواحيها ، إذ وعد الرب قائلا « لأنهم فى القيامة ... يكونون كملائكة الله فى السماء »[1] .

٢١

ثالثا – لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الارض

١ ـ فكما تعمل إرادتك فى الملائكة سكان السماء ، حتى إنهم ملتصقون بك تماماً ومتمتعون بك كلية ، ولا تشوب حكمتهم خطأ ، ولا يمس سعادتهم شقاء ، هكذا لتكن إرادتك أيضاً فى قديسيك قاطنى الأرض . فرغم كون مسكنهم هو السماء ، ورغم أنهم سيتغيرون إلى صورة سماوية إلا أنهم مأخوذين من الأرض . وقد أشارت الملائكة إلى هذا بقولها فى تسبحتها « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة »[2] . فعندما تسير

(١) مت ٢٢ : ٣٠ . (٢) لو ٢ : ١٤ .

إرادتنا وفق إرادة الله ، حينئذ تكمل إرادته فينا كما هى كاملة فى الملائكة السمائيين ، عندئذ لا توجد مقاومة فى طريق سعادتنا. وهذا هو السلام .

ب ـ يمكن أيضاً فهم هذه الطلبة على أننا نطلب أن تطاع وصايا الله كما فى السماء كذلك على الأرض أى كما تطيع الملائكة وصايا الله هكذا فليطعها البشر أيضاً. فمشيئة الله تتم بتنفيذ وصاياه ، ويؤكد رب المجد نفسه ذلك بقوله « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى » [١] . كما كرر « لأنى قد نزلت ... ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى» [٢] . ويقول « ها أمى وإخوتى. لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى» [٣] . فمشيئة الله تتم فيمن ينفذها ليس لأن بتنفيذها يجعلونه يشاء ذلك ،بل لأنهم يعملون ما يشاء هو أن يسلكوا به.

٢٢

جـ ـ هناك تفسير ثالث لهذه الطلبة ، وهو أن تكون مشيئته فى الخطاة كما فى القديسين والأبرار . وهذا التفسير يمكن فهمه بإحدى الطريقتين التاليتين :

(١) أن نصلى من أجل أعدائنا الذين لا يشاءون نشر

---

(١) يو ٤ : ٣٤ .
(٢) يو ٦ : ٣٨ .
(٣) لو ١٢ : ٤٩ ، ٥٠ .

المسيحية والكنيسة الجامعـــة فكأننا نطلب قائلين « كما يصنع الأبرار مشيئتك هكذا ليت الأشرار (غير المؤمنين) يصنعونها برجوعهم إليك .

(٢) إننا نطلب منه أن ينال كل شخص استحقاقه ، وهذا ما سيتم فى يوم الدينونة حيث يكافىء الأبرار بالجزاء والخطاة بالعقاب وذلك عند فصله الخراف عن الجداء [١] .

٢٣

د ـ لا يعتبر تفسير السماء والأرض على أنهما الروح والجسد تفسيراً خاطئاً ، بل يطابق إيماننا ورجائنا تماماً . فإذ يقـــول الرسول « إذاً أنا بنفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » ، لذلك نجد أن الروح (الذهن) يصنع مشيئة الله . فى القيامة من الأموات يبتلع الموت فى نصرة ، ويأخذ هذا المائت عدم الموت ، لهذا الذى وعد به الأبرار حسب نبوة الرسول بولس [٢] . فكما تتم مشيئته بالتمام فى السماء (فى القيامة من الأموات) ، هكذا لتتم على الأرض أيضاً ، وكما تتبع الروح الله وتصنع مشيئته دون أية مقاومة ، ليته كذلك الجسد لا يقاوم الروح بصفاته وعاداته الجسدية .

(١) أنظر مت ٢٥ : ٣٢ ـ ٤٦ . (٢) أنظر ١ كو ١٥ : ٤٢ ، ٥٤ .

فى الحيـاة الأبدية لا تـكون المشيئة حاضرة أمامنا فحسب. بل ونجد فى تنفيذها سلاماً كاملاً . بينما فى الحياة الحاضرة يقول الرسول « لأن الإرادة حاضرة عنـدى وأما أن أفعـل الحسنى فلست أجد » [1] لأننا لا زلنا لا ننفـذ مشيئة الله بالتمـام كما فى السماء ، أى لا ننفذها بالتمام فى الجسد كما فى الروح .

إن مشيئة الله تتم فى شفائنا ، لأننا نحتمـله باستحقاق . . . لكننا نصلى لكى تنفـذ مشيئته على الأرض كما فى السـماء أى كما نسر بناموس الله فى قلوبنا بحسب الإنسان الباطن [2] ، هكذا نطلب تغيير أجسادنا حتى لا يوجد فيها ما يقـاوم هذه المسرة بناموس الله ، وذلك بسرورنا أو حزننا لأمور العالم .

٢٤

هـ — يمكن أيضاً فهم هذه الطلبة على أنه لتـكن مشيئته كما فى ربنا يسوع المسـيح نفسه هكذا ، فلتـكن فى الـكنيسة أيضـاً . فكأننا نقول لتـكن مشيئتك كما فى الرجل الذى ينفذ مشيئة الرب هكذا فلتـكن فى المرأة التى خطبت له أيضـاً ، لأنه يليق بنـا أن نفهم السماء والأرض ، كما لو كان رجـلاً وزوجته إذ الأرض تثمر بواسطة السماء .

---

(١) رو ٧ : ١٨ . (٢) أنظر رو ٧ : ٢٢ .

٢٥

رابعا – خبزنا اليومى أعطنا اليوم

١ – قد يقصد بالخبز اليومى الاحتياجات الضرورية لهذه الحياة، فقد أشارت هذه الطلبة إلى قول السيد « لا تهتموا للغد »، بقولها « أعطنا اليوم ».

٢ – وقد يقصد به التناول من جسد ربنا يسوع المسيح الذى نأخذه يومياً.

٣ – وقد يقصد به الغذاء الروحى إذ قال الرب « إعملوا لا للطعام البائد »[١] وأيضاً « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء »[٢]. ولكن السؤال موضع الاعتبار هو أى وجهات النظر الثلاثة أصوب؟ لأن البعض يندهشون كيف نصلى من أجل الاحتياجات المادية اللازمة لهذه الحياة كالطعام والملبس مثلاً، بينما يقول الرب « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون »[٣] فهو يطلب منا أن نقدم الصلاة الربانية بشغف عظيم حتى طلب منا غلق المخادع أثناء الصلاة بها، « اطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ». فكيف يمكن لشخص ما أن يطلب الأمور الزمنية دون أن يهتم بما يطلبه فى الصلاة؟!.

(١) يو ٦ : ٧ (٢) يو ٦ : ٤١ (٣) مت ٦ : ٢٥

حقاً إنه لم يقل لنا أن نطلب ملكوت الله أولاً وعندئذ نطلب الأشياء الأخرى ، بل قال « وهذه كلها تزاد لكم » أى تعطى لنا ولو لم نطلبها . ولكننى لست أعلم كيف يطلب منا عدم طلبنا للأمور الأخرى فى الصلاة بينما فى الصلاة الربانية نتوسل بشغف لكى ننالها ؟ ! ! .

٢٦

أما عن فهم الخبز اليومى على أنه سر الأفخارستيا - أى جسد ربنا يسوع - فإننا نجد البعض يعترضون على ذلك بسبب عدم اشتراكهم يومياً فى العشاء الربانى . فلكى يدافعوا عن عدم اشتراكهم اليومى فيه ، وقد ساعدهم المسئولون فى الكنيسة على ذلك بعدم ردعهم ، لذلك لا يفهمونه على أنه خبز يومى . لأنهم لو نظروا إليه كخبز يومى لاعتبروا أنفسهم مرتكبين خطأ عظيماً بعدم اشتراكهم فيه . . . غير أنه ليس الآن مجال لمناقشة هذه الجماعة .

هناك اعتبار يجب أن يراعيه أولئك الذين يدركون ضرورة عدم إضافة أو حذف أى كلمة من الصلاة الربانية ، وهو أنه إذا كان يفهم التناول على أنه هو الخبز اليومى ، فكيف نصلى بالصلاة الربانية مرة واحدة فقط فى اليوم ، أو حتى إن كنا

نصلى بها مرتين أو ثلاث مرات قبل اشتراكنا فى جسد الرب ودمه فإننا لا نستطيع أن نصلى بها بعد تناولنا ، وإلا كأننا نطلب منه أن يعطينا ما قد نلناه ، أو هل هناك ما يجبرنا على إقامة سر الافخارستيا فى آخر ســاعات النهار حتى نتمكن من الصلاة بها طول اليوم ؟ ! ! .

٢٧

أما الآن فقد بقى لنا أن نفهم الخــبز اليومى على أنه خبزاً روحياً ، أى تنفيذ الوصايا الإلهية . فكما يقول الرب « اعملوا لا للطعام البائد » ، علاوة على هذا فإنه يدعى طعاماً يومياً فى هذا الزمان مادامت هذه الحياة تقـاس بالايام . والحقيقة أنه طالمـا تجتـاز الروح فترات تسمو فيهـا وأخرى تنحط فيها ، أى تارة تشتهى الامور الروحيـة وأخرى الأشـياء الجسدية ، فتكون الروح كما لو كانت تنتعش بالطعـام تارة وتجوع تارة أخـرى . فالخــبز اليومى ضرورى لإشباع الجائع وإقامة الساقط . فـكما يشبع جسدنا فى هذه الحيـاة بالطعام ، لأنه يشعر بالفقـدان . هكذا إذ تكابد الروح من الشهوات الزمنية يحدث لهـا ما يمكن أن يسمى فقداناً أمام الله ، لذلك تنتعش بطعام الوصايا . أضف إلى هذا أنه قيل « أعطنا اليوم » أى طالما يدعى اليوم أى ما دمنا

فى هذه الحياة ، لأننا فى الحياة الأبدية سنتنعش بغزارة من الطعام دون أن يدعى خـبزاً يومياً ، لأن الزمن الناجم عن تعاقب الأيام سوف ينتهى . « فاليوم » يقصد به الحياة الحاضرة ، ذلك كما قيل « اليوم إن سمعتم صوته » مفسراً الرسول ذلك فى رسالته إلى العبرانيين مادام الوقت يدعى اليوم .

أما إذا أراد شخص أن يفهم الخـبز اليومى على أنه الطعـام الضرورى للجسد أو سر الأفخارستيا ، فنى هذه الحالة ينبغى عليه الأخذ بالمعـانى الثلاثة معاً أى نسأل من أجل الخـبز الضرورى للحياة وجسد الرب ودمه وكلمة الله الغير منظورة .

٢٨

واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنـا عليه debtors
بلا شك يقصد بالديون التى نطلب العفو عنها هى خطايانا . تلك التى قال الرب عنهـا « لا تخـرج من هنـــاك حتى توفى الفلس الأخير » . . فهو لا يتكلم هنا عن العفو عن دين نقدى بل عن غفران لجميع الأخطاء التى ارتكبها الآخرون ضدنا . لأنه سبق أن أمر بالتنـازل عن ديوننا النقـدية بوصية سابقة « وإن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضاً » . ونحن لسنا

يجبرين على التنازل عن كل ما أقرضناه للآخرين بل لمن لا يرغب في الوفاء به إلى الدرجة التي يصل فيها إلى متقاضاته . فقد نبهنا الرسول « وعبد الرب لا يجب أن يخاصم »[1]. لذلك فلتعفو لمن لا يرغب في الوفاء سواء أظهر رغبته هذه خفية أو صراحة . لأن الرغبة في عـــدم الوفاء تكون لإحدى سببين : إما لعدم القدرة على الوفاء أو لطمعه ومحبته لأموال الغير ، وكلا الحالتين يعتـــبران فقراً . فالحالة الأولى فقر مادى ، والأخرى فقر في الخصال . فمن يتجاوز عن دين لشخص كهذا يكون قد عفا عن شخص فقير ، وبذلك ينفذ عملاً مسيحياً .

غير أن المهم هنا هو أن يكون الانسان مستعداً للتسامح في الدين الذى أقرضه . فإن سعى بهدوء ورقة بكل الطرق لإسترداد الدين دون أن يهدف فقط الحصول على دينه قدر رغبته في رد المدين إلى صوابه ، لأنه إذا كان المدين قادراً على السداد ولا يسدد يكون هذا مضراً له ، فبمحاولة الدائن إســترداد الدين لا يكون قد إرتكب خطية بل يقدم خدمة جليلة جداً بمحاولته منع الآخر من تدمير إيمانه بمحبته لأموال الغــير ، الأمر الذى ليس له مثيل في خطورته .

---

(١) ٢ تى ٢ : ٢٤ .

من هذا يفهم أن الطلبة الخامسة لا تخص الديون النقدية بل كل ما يرتكبه الآخرون ضدنا بما فيه عدم وفائهم عن القروض التى اقترضوها منا . لأن من يرفض الوفاء بما اقترضه منا ، وهو قادر على السداد يخطىء إلينا . فإن لم نغفر هذه الخطية ، فلن نستطيع القول « أترك لنا ما علينا كما نترك نحن » .

٢٩

بالحقيقة إن صلينا بهذه الطلبة دون أن نعفو عمن يطلب العفو منا ، نكون قد ارتكبنا خطأ ، لأننا نرغب فى الغفران من أبينا كثير الرحمة دون أن نغفر للآخرين هذا ، ومن ناحية أخرى فإن الوصية الخاصة بالصلاة من أجل الأعداء لا تأمرنا بالصلاة من أجل الذين يطلبون الصفح منا بل الأعداء ، لأن من يطلب الصفح منا لا يعتبر عدواً لنا . فلا يليق بشخص أن يعتبر من يطلب الصفح عنه عدواً له فيصلى لأجله دون أن يغفر له .

لذلك إن أردنا الغفران عن الخطايا التى نرتكبها ضد أبينا ، فلنغفر نحن جميع الخطايا التى ترتكب ضدنا . وقد سبق لنا مناقشة موضوع الانتقام بما فيه الكفاية [1].

---

(١) أنظر الجزء الأول فصل ١٩ ، ٢٠ .

سادسا – ولا تدخلنا فى تجربة

وقد وردت فى بعض المخطوطات « ولا تقودنا » وهى تعادل « لا تدخلنا » لأن الكلمة اليونانية تحمل المعنيين. ويصلى البعض قائلين « لا تسمح لنا بالانقياد فى تجربة » . فالله لا يقود الإنسان فى تجربة ، بل يسمح لمن حرم من معونته أن ينقاد إليها ، وذلك بحسب حكمة الله الخفية ، وبحسب استحقاقات من سمح له بالانقياد فى تجربة .

والانقياد فى تجربة يختلف عن تجريب (امتحان) الإنسان . لأنه بدون تجربة لا يزكى إنسان . وهو يجرب لتزكية نفسه كما هو مكتوب « الذى لم يمتحن ماذا يعلم » [1] أو يجرب لتزكية الآخرين كقول الرسول « تجربتكم [2] التى فى جسدى لم تزدروا بها » [3] لأنه من هذه الظروف علم الرسول أنهم ثابتين لأنهم لم يتركوا المحبة بسبب المضايقات التى انتابت الرسول بحسب

---

(١) حكمة يشوع ٣٤ : ١١ .

(٢) حسب ترجمة النص الانجليزى وكذلك النسخة القديمة M.S S .

(٣) غلا ٤ : ١٤ .

الجسد . أما عن الله فهو يعرفنا قبل أن نجرب لأنه عالم بكل الأشياء قبل كونها .

٣١

لذلك عندما قيل « الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم » ذكر « لكى يعلم » بمعنى أن يعرفك حقيقة نفسك . وذلك كأن نتكلم عن يوم أنه بهيج لأنه يجعلنا نحن مبتهجين ، أو أنه صقيع بليد لأننا نشعر بذلك . وهكذا يرد كثيراً فى الأحاديث العامة أو عن تعليم الآخرين أو ما يرد فى الكتاب المقدس .

فإن كان الهراطقة أعداء العهد القديم يحسبون أن فى القول « الرب إلهكم يمتحنكم » ما يوسم الله سبحانه بالجهل ، فلينظروا ما جاء فى الإنجيل عن الرب « وإنما قال هذا ليمتحنه (أى فيلبس) لأنه هو عالم ما هو مزمع أن يفعل »[١] . فإذ يعلم الرب بقلب من يمتحنه ، فلماذا يمتحنه ؟ الحقيقة هو أنه يمتحنه لكى يعرف الممتحن حقيقة نفسه فيلوم نفسه على تفكيره بعدم وجود ما يكفى لإشباع الجمهور .

---

(١) يو ٦ : ٦ .

٣٢

فالصلاة هنا ليست لكى لا نجرب ، بل لكى لا ندخل (ننقاد) فى تجربة . فإذ يلزم لكل إنسان أن يمتحن بالنار ، عليه ألا يصلى لكى لا تمسه النار بل لكى لا يهلك ، لأن آنية الخزف تختبر بالأتون والإنسان يمتحن بالضيقات Trail of tribulation [1]. فيوسف أمتحن بغواية الزنا لكنه لم يدخل فى تجربة [2]. وسوسنة جربت أيضاً دون أن تدخل فى تجربة [3]. وكثيرون من كلا الجنسين جربوا دون أن يدخلوا فى تجربة . أما أيوب فأعظمهم لأنه ثبت ثباتاً عجيباً فى الرب إلهه ...

٣٣

... ويضجر بعض الهراطقة بسبب طلب الشيطان من الله أن يجرب البار ، وأنا لا أشرح لهم هذا الأمر ، بل أطلب منهم أن يشرحوا لى قول الرب لتلاميذه « هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة » [4] . وقوله لبطرس « ولكنى طلبت من

---

(١) أنظر حكمة يشوع ٢٧ : ٦ . (٢) أنظر تك ٣٩ : ٧ ـ ١٢ .

(٣) دا ١٩ : ٢٢ . (٤) لو ٢٢ : ٣١ .

أجلك لكى لا يفنى إيمانك » [1] . فإذ يشرحـــون لى هذين النصين يكونون قد شرحوا لنفسهم كيفية طلب الشيطان من الله أن يجرب البار ...

٣٤

فالتجـارب التى تحدث بواسطة الشيطان تتم لا بقوته ، بل بسماح من الله إذ يسمح بها إما لتأديبنا (عقابنا) أو لمحبته لنا يمتحننا ويدربنا . فهناك أنواع مختلفة من التجارب . فالتجربة التى سقط فيها يهوذا ببيعه سيده تختلف عن تجربة بطرس الذى أنكره بسبب الخوف .

وإننى أعتقد أن هناك تجارب عامة يخضع لها البشر بسبب ضعفهم البشرى ، مهما كانت ســـيرتهم حسنة . مثال ذلك أن يغضب إنسان على آخر أثناء ارشاده طريق الحق ، فيخرج بذلك عن الهدوء الذى تتطلبه المسيحية ، لذلك يقول بولس الرسول « لم تصبكم تجربة إلا بشرية » بينما يقول فى نفس الوقت « ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » [2] . مظهراً

---

(١) لو ٢٢ : ٣٢ .   (٢) ١ كو ١٠ : ١٣ .

بوضوح أننا لا نصلى لكى لا نجرب بل لكى لا ننقاد إلى تجربة، لأنه إذا سقطنا فى تجربة لا نحتملها نكون قد أنقدنا إلى تجربة ، فإذا ثارت علينا تجارب خطيرة ، بحيث يكون انقيادنا إليها مهلكاً لنا ـ سواء أكان ذلك لظروف فى صالحنا أو ضدنا ـ فإن من لا ينقاد إليها مأسوراً ببهجة الانتصار يكون قد استغنى عن متاعب العدو .

٣٥

سابعا – لكن نجنا من الشرير

إننا لا نصلى فقط لكى لا ندخل فى الشرير ، الذى تحررنا منه بالطلبة السابقة ، بل نصلى أيضاً لكى ننجو من الشرير الذى سقطنا فيه قبلا ، وبذلك لا نخاف من أى تجربة . ومع ذلك فما دمنا فى هذه الحياه ، فنحن نحمل سمات موتنا الذى سقطنا فى أسره بسبب غواية الحية ، لذلك لا نرجو أن نكون الآن على هذه الحال ، أى بلا تجربة أو شر . أما رجاؤنا فهو أن نكون هكذا فى المستقبل ، وهذا هو الرجاء غير المنظور، فكما يقول الرسول « لكن الرجاء المنظور ليس رجاء »[١] .

---

(١) رو ٨ : ٢٤ .

٣٦

تبويب الطلبات السبع

ينبغى علينا أن نميز بين الطلبات السبع على أساس أن منها ما يخص الحياة الزمنية ومنها ما يخص الحياة الأبدية .

فالحياة الزمنية تزول وتنتهى ، أما الحياة الأبدية فنترجاها ، وبالتالى فالأشياء الأبدية أسمى من الزمنية ، وإن كان لا يمكن العبور إليها ما لم نمر بالأشياء الزمنية .

١ - **الطلبات الثلاثة الأولى** : يبدأ تحقيقها فى هذه الحياة .
فتقديس اسم الله ابتدأ بطريقة واضحة بمجىء الرب المتضع ومجىء ملكوته فائق الجلال ، لا يعلن بعد نهاية العالم بل فى نهايته . وتنفيذ مشيئة الله على الأرض كما فى السماء (سواء قصد بها الأشرار والأبرار ، أو الروح والجسد ، أو السيد المسيح والكنيسة أو هذه كلها معاً) فإنها تكمل بكمال تطويبنا فى نهاية العالم .

٢ - **الطلبات الأربع الأخرى** : تبدو لى أنها خاصة بهذه الحياة الحاضرة .

فالطلبة الأولى « خبزنا اليومى أعطنا اليوم » سواء قصد به

القوت اليومى أو الخبز الروحى (كلمة الله) أو الإفخارستيا غذاؤنا ، فإنه يخص هذه الحياة الحاضرة التى تدعى « اليوم » . ليس لأن الخبز الروحى غير أبدى ، بل لأن الذى يدعى خبزاً يومياً فى الكتاب المقدس يقدم للروح باستخدام الألفاظ أو بأى طريقة زمنية ، وبالتأكيد هذه الألفاظ (اللغات) وغيرها لن توجد فى الحياة الأبدية عندما نصير متعلمين من الله [1] . حيث لا نعود نعلم نور الحق غير المنطوق به بواسطة حركات جسدية (أى باستخدام اللسان أو أى طريقة أخرى للتعليم) ، بل كل إنسان يشرب منه بنقاوة عقله . ربما لهذا السبب دعى (خبزاً) وليس (شراباً) ،لأن الخبز يحتاج إلى التكسير والمضغ ليتحول إلى قوت ، فالروح عندما تأكل من الكتاب المقدس تحتاج إلى فتحه ومناقشة ما فيه ، أما الشرب.فمتىأعد فإنه يسرى فى الجسد دون مجهود يبذل . فالحق حالياً يدعى (خبزاً يومياً) أما فى الحياة الأخرى فيشرب ، حيث لا توجد حاجة للمناقشة والجدل ، كما لو كان تكسيراً ومضغاً .

والطلبة الثانية « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً

---

(١) أنظر يو ٦ : ٤٥ .

القوت اليومى أو الخبز الروحى (كلمة الله) أو الإفخارستيا غذاؤنا ، فإنه يخص هذه الحياة الحاضرة التى تدعى « اليوم » . ليس لأن الخبز الروحى غير أبدى ، بل لأن الذى يدعى خبزاً يومياً فى الكتاب المقدس يقدم للروح باستخدام الألفاظ أو بأى طريقة زمنية ، وبالتأكيد هذه الألفاظ (اللغات) وغيرها لن توجد فى الحياة الأبدية عندما نصير متعلمين من الله [1] . حيث لا نعود نعلم نور الحق غير المنطوق به بواسطة حركات جسدية (أى باستخدام اللسان أو أى طريقة أخرى للتعليم) ، بل كل إنسان يشرب منه بنقاوة عقله . ربما لهذا السبب دعى (خبزاً) وليس (شراباً) ،لأن الخبز يحتاج إلى التكسير والمضغ ليتحول إلى قوت ، فالروح عندما تأكل من الكتاب المقدس تحتاج إلى فتحه ومناقشة ما فيه ، أما الشرب.فمتى أعد فإنه يسرى فى الجسد دون مجهود يبذل . فالحق حالياً يدعى (خبزاً يومياً) أما فى الحياة الأخرى فيشرب ، حيث لا توجد حاجة للمناقشة والجدل ، كما لو كان تكسيراً ومضغاً .

والطلبة الثانية « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً

---

(١) أنظر يو ٦ : ٤٥ .

للمذنبين إلينا ، فهى تخص هذه الحياة فقط. لأنه لا حاجة للمغفرة فى الحياة الأبدية حيث لا توجد هناك خطايا .

والطلبة الثالثة « لا تدخلنا فى تجربة » تخص هذه الحياة الزمنية ، حيث تحفها التجارب ، أما الحياة الأخرى فلا يوجد فيها تجارب إذ يتحقق « تسترهم بستر وجهك » [1] .

أما الطلبة الرابعة « لكن نجنا من الشرير فهى تخص هذه الحياة أيضاً حيث نرغب فى الخلاص من الشرير والخلاص من الشر نفسه ، الذى سقطنا فيهما بسبب الحكم علينا بالموت بحسب عدل الله .

٣٨

ترتيب الطلبات السبع

يبدو لى أن هذه الطلبات السبع تقابل فى ترتيبها التطويبات السبعة المذكورة فى بداية الموعظة .

١ ـ فإن كان خوف الله هو الذى يجعل المساكين بالروح يطوبون فينالون ملكوت السموات ، إذن فلنطلب من الله أن

---

(١) مز ٣١ : ٢٠ .

يتقدس اسمه بين البشر أيضاً بخوفه « خوف الرب نقى ثابت إلى الابـــد » [1].

٢ - وإن كان بالتقوى يطوّب الودعاء فيرثون الارض ، إذن فبوداعتنا وعدم مقاومتنا يأتى ملكوته علينا، أو يأتى بمجيئه بجلال من السماء فنبتهج ونسمع القول « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » [2]. لأن النبى يقول « بالرب تفتخر نفسى . يسمع الودعاء فيفرحون » [3].

٣ - إن كان بالمعرفة يطوّب الحـــزانى فيتعزون ، إذن فلنصلى لكى تكون مشيئته كما فى السماء كذلك على الأرض ، لأنه متى تم التوافق بين الروح والجسد (كما لو كانا سماءً وأرضاً) فسوف لا نحزن . لأنه لا يمكن أن يوجد حزن إلا حيثما وجد نزاع بين الجسد والروح ، فنقول « أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى » [4] . ونشهد عن حزننا هذا بصورة مرعبة « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » [5] .

---

(١) مز ١٩ : ٩ .

(٢) مت ٢٥ : ٣٤ .

(٣) مز ٣٤ : ٢ .

(٤) رو ٧ : ٢٣ .

(٥) رو ٧ : ٢٤ .

٤ - إن كان الاحتمال هو الذى يطوّب الجياع والعطاش إلى البر فيشبعون ، إذن فلنصلى إلى الله لكى يعطينا الخبز اليومى اليوم ، هذا الخبز الذى به نقتات ونتقوى ونصـــل إلى حالة الشبع الكامل .

٥ - إن كان بطلب المشورة يطوّب الرحماء فيرحمون، فليتنا نغفر للمذنبين إلينا (أى نرحم) حتى يغفر لنا ذنوبنا .

٦ - إن كان بالفهم يطوّب أنقياء القلب فيعاينون الله ، إذن فلنصلى إلى الله لئلا ندخل فى تجربة ، حتى لا نكون ذوى قلبين فلا نطلب الخير الحقيقى وحده فى أعمالنا بل نطلب الأمور الزمنية أيضاً . فلا يكون للتجارب النابعة عن عدم حصولنا للأشياء التى يظنها البشر أنها مفرحة ومبهجة ، لها سلطان علينا .

٧ - إن كانت الحكمة هى التى تجعل صانعى السلام يطوبون فيدعون أبنـاء الله ، فليتنا نصلى لنتحرر من الشرير حتى نكون أبناء لله فنفرح بروح التبنى « يا أبا الآب » [1]

٣٩

لنأخذ فى اعتبارنا اهتمام السيد المسيح بالطلبة الخاصة بمغفرة

---

(١) رو ٨ : ١٥ .

خطـــايا الآخرين فوق كل الطلبات الأخرى ، فهو يريد منا أن نـكون رحماء ، حتى نهرب من الشقاء ، بغفران خطايانا . فبهذه الطلبة وحدها ندخل فى ميثاق مع الله ، فنقول له « اغفر لنا كما نغفر نحن » فإن كذبنا تصير صلاتنا عقيمة . لأن الرب قال « فإن غفرتم للناس ذلاتهم يغفر لـكم أبوكم السماوى ، وإن لم تغفروا للناس ذلاتهم لا يغفر لـكم أبوكم أيضاً ذلاتكم .

✝ ✝ ✝

الصوم ونقاوة القلب

٤٠

تشير الوصية الخاصة بالصوم إلى نقاوة القلب أيضاً ، وهو موضوع بحثنا . لأنه ينبغى لنا عند الصوم أن نحذر من تسلل حب الظهور والرغبة فى مديح الناس إلينا ، الأمر الذى يجعل القلب مزدوجاً ، غير نقى وغير سليم فلا يستطيع أن يدرك الله .

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين · فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم · وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك .

يظهر لنا من هذه الوصايا ضرورة توجيه جهادنا نحو الفرح الداخلى، فلا نطلب جزاءاً خارجياً كأهل العالم فنخسر البر العظيم والقوة والثبات والأمور الداخلية التى اختارها الله لنا لكى نكون مشابهين لصورة ابنه [١] .

٤١

حب الظهور لا يكون فقط فى التغالى والتفخيم فى الأمور

(١) أنظر رو ٨ : ٢٩ .

الجسدية بل ويكن أيضاً فى الأمور الوضيعة المحزنة (أى يمكن أن يتبع الصوم كبرياء وحب للظهور) وهذه تكون أكثر خطورة لأنها تخدع الانسان تحت اسم خدمة الله .

فالشخص المعروف بمغالاته فى اهتمامه بالجسديات وتنعمه بالملابس الفاخرة . . . الخ . يمكن بسهولة معرفة أنه يطلب الأمور الزمنية فى هذا العالم ، فلا يضلل أحداً بمظهر خبيث . أما محترف المسيحية فيجذب الأنظار نحوه بمظاهر الاتضاع ، وبتلك الأمور التى يصنعها عمداً . وإن كان يمكن أن يفتضح من أفعاله الأخرى لأن رب المجد يحذرنا من الذئاب المتنكرة فى ثياب حملان قائلاً « من ثمارهم تعرفونهم »[1] .

فعند سقوطه فى تجربة تنسحب منهم هذه المظاهر . وبذلك تظهر حقيقتهم هل هم ذئاب فى ثياب حملان ، أم حملان حقيقيون ؟ ! . لا يعنى هذا أن المسيحى الحقيقى يرضى البشر بارتدائه ملابساً فاخرة مغالى فيها ، بسبب لبس المخادعين الثياب المتضعة ، لأنه لا ينبغى على الحملان أن تخلع ثيابها لمجرد لبس الذئاب لثيابهم .

---

(١) مت ٧ : ١٦ .

٤٢

إنه من الطبيعى أن تسأل : ماذا يقصد الرب بقوله « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك » ؟ فنحن نغسل وجوهنا يومياً لكن لا نجبر بدهن الرأس عند الصوم . لذلك فلنفهم الوصيـــة على أنها غسل لوجهنا ودهن لرأسنا الخاص بالانسان الداخلى .

فدهن الرأس يشير إلى الفرح وغسل الوجه يشير إلى النقاوة. فعلى الإنسان أن يبتهج داخلياً فى عقله بدهن رأسه ، التى هى فائقة السمو فى الروح التى تحكم وتدبر كل أجزاء الجسم وهذا يحدث للانسان الذى لا يطلب فرحاً خارجياً نابعاً عن مديح الناس . لأنه لاينبغى للجسد - الذى يجب قمعه - أن يكون رأساً على طبيعة الإنسان جميعها . حقاً إنه « لم يبغض أحد جسده [1] » . وكما يقول بولس الرسول عندما يوصى بضرورة محبة الزوجة (جسد الرجل) « أما الرجـــل فرأس المرأة والمسيح رأس الرجل » [2]. لذلك يكون الفرح داخلياً أثناء الصوم بابتعاده عن مسرات العالم وخضوعه للمسيح .

---

(١) أف ٥ : ٢٩ .   (٢) أنظر ١ كو ١١ : ٣ .

وهكذا أيضاً فليغسل وجهه أى ينقى قلبه الذى يعاين الله ، فلا يعود هناك حجاب حاجز بسبب الضعف الناتج عن الضيق (الحزن) ، بل يكون ثابتاً وقوياً لنقاوته التى لا غش فيها .

يقول الرب « اغتسلوا تنقوا أعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى »[1] . فنغسل وجوهنا « ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة فنتغير إلى تلك الصورة عينها »[2] .

٤٣

إن الانشغال حتى بالأشياء الضرورية اللازمة لهذه الحياة ، غالباً ما يصيب أعيننا الداخلية ويلوثها ، ويجعل القلب مزدوجاً . فحتى فى الأمور التى يبدو لنا فيها أن نتعامل بحق مع زملائنا ، فإننا لا نعمل بالقلب الذى يطالبنا به الرب . وذلك ليس بسبب محبتنا للأشياء الزمنية بل لرغبتنا فى الحصول على بعض المنافع الشخصية منهم . لذلك ينبغى أن يكون هدفنا هو خلاص نفوسهم لا نفعنا الزمنى . ليعطنا الرب قلوباً تميل إلى الشهادة له لا إلى الطمع[3] . لأن « غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير

---

(١) أش ١ : ١٦ .　　(٢) ٢ كو ٣ : ١٨ .

(٣) أنظر مز ١١٩ : ٣٦ .

صالح وإيمان بلا رياء » [1]. فمن يعامل أخاه لأجل الحصول على الضروريات الخاصة بهذه الحياة ، فبالتأكيد لا يتعامل بحب ، لأنه لا يهتم بأخيه الذى ينبغى أن يحبه كنفسه ، بل يهتم بنفسه ، بل بالحق لا يهتم حتى بنفسه لأنه بهذه الطريقة يجعل قلبه مزدوجاً فلا يستطيع رؤية الله .

† † †

(1) ١ تى ١ : ٥ .

مقومات نقاوة القلب

أولا : الانشغال بالسماويات

٤٤

يرغب ربنا فى تنقية قلوبنا ، لذلك يوصينا قائلاً :

لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا .

فإن كان القلب على الأرض ، أى إن كان الانسان فى سلوكه يرغب فى نفع أرضى ، فكيف يمكنه أن يتنقى ، مادام يتمرغ فى الأرض ؟ ! أما إذا كان القلب فى السماء فسيكون نقياً ، لأن كل ما فى السماء هو نقى فالأشياء تتلوث بامتزاجها بما هو أردأ منها ، ولو كان هذا الردىء نقى فى ذاته . فالذهب يتلوث بامتزاجه بالفضة النقية ، وفكرنا يتلوث باشتهائه الأمور الارضية رغم نقاوة الأرض وجمال تنسيقها فى ذاته .

لكننا لا نفهم كلمة « السماء » هنا بمعنى مادى : لأن كل ما هو مادى يعتبر أرضاً . فالذى يكنز فى السماء ينبغى عليه أن يحتقر

العالم كله . فالسماء هى تلك التى قيل عنها « السموات سموات الرب »[1] أى جلداً روحياً . لأنه لا ينبغى لنا أن نثبت كنزنا وقلبنا فى هذه السماء الزائلة ، بل لنثبتهما ونكنزهما فى السماء الباقية إلى الأبد . أما السماء والأرض (الماديتان) فتزولان[2] .

٤٥

لقد أوضح أن جميع الوصايا السابقة قصد بها « نقاوة القلب » وذلك بقوله :

سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا. وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما فان كان النور الذى فيك ظلاما فالظلام كم يكون .

نفهم من هذه العبارة أن جميع أفعالنا تكون نقية ومرضية فى نظر الله إن صنعناها بقلب بسيط ، أى إن كان هدفنا فيها سماوياً ، متطلعين إلى تلك الغاية التى هى المحبة ، لأن « المحبة هى تكميل الناموس »[3] . من ثم فلنفهم « العين » هنا على أنها « النية التى نصنع بها أفعالنا » . فإن كانت نيتنا نقية وسليمة ، أى ناظرين إلى السمويات ، فستكون جميع أعمالنا صالحة . هذه

---

(١) مز ١١٥ : ١٦ .　　(٢) أنظر مت ٢٤ : ٣٥ .
(٣) رو ١٣ : ١٠ .

التى لقبها الرب « جسدك كله » لأنه عندما حدثنا الرسول عن بعض أعمالنا القبيحة ، دعاها أيضاً (أعضاء لنا) ، إذ علمنا أن نصلبها قائلاً : « فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض ، الزنا النجاسة . . . الطمع »[1]. وما على شاكلة ذلك .

٤٦

فليست أفعال الانسان هى موضع الاعتبار بل نيته أثناء صنعها ، لأن النية هى النور الذى يضىء فينا . فهى التى نعرفها أثناء العمل ، فـ (كل ما أظهر فهو النور) . أما نتائج أعمالنا فهى معيار غير أكيد ، لذلك دعيت ظلاماً .

فعندما أتصدق إلى فقير ما ، لا أعلم ما سيفعله بهذا المال ، أو ما سيعانيه بسببه . فقد يصنع به شراً كما قد يسبب له شروراً ، الأمر الذى لم أكن أقصده عن تصدقى به . فإن كنت قد تصدقت بنية صالحة ، وهذا يمكنى أن أعرفه أثناء صنعى للصدقة ، فإن صنعى هذا سيضىء مهما كانت نتيجته . أما هذه النتيجة فلعدم تأكدى منها أثناء صنعى الصدقة ، لذلك دعيت ظلاماً . فالنية يقال عنها أنها ولو كانت نية شريرة . ولكن فى هذه الحالة

---

(١) ٢ كو ٣ : ٥ .

يكون هذا النور ظلاماً بسبب عدم توجيه الهدف ببساطة إلى الأمور السامية ، بل إلى أسفل نحو الأمور الدنيا . وهذا يتم بواسطة قلب مزدوج كما لو كان ظلاماً .

« فإن كان النور الذى فيك ظلاماً . فالظلام كم يكون » . أى إذا كانت نيتكم قد تلوثت بمحبة الأمور الأرضية الزمنية وصارت ظلاماً ، فكم بالأكثر تكون الأعمال نفسها غير المعروف نتيجتها ؟ ! لأنه مهما نتج عما تصنعه بنية شريرة وغير نقية من خير الآخرين ، فإن قصدك هو الذى يحسب عليك وليس نتيجة عملك .

٤٧

لا يقدر احد ان يخدم سيدين

حقاً إن هذه العبارة تشير إلى النية نفسها ، إذ كمل الرب قائلاً :

لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر ، او يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون ان تخدموا الله والمال *Mammon* (١)

فمن يعبد المال يخدم الشيطان الذى لقبه ربنا (رئيس هذا العالم) (٢) وذلك لسيطرته بضلاله على الأشياء الأرضية » فالإنسان إما أن « يبغض » هذا الواحد « ويحب الآخر » أى

---

(١) Mammon يعنى المال أو إله المال (٢) يو ١٢ : ٣١ ، ١٤ : ٣٠

الله . أو يلازم الواحد « الشيطان » ويحتقر الآخر « الله » . لأن من يخدم المال يخضع للشيطان القاسى المهلك . فإذ يرتبك بشهوته المال يخضع للشيطان ويلازمه رغم عدم محبته له ، لأنه من منا يحب الشيطان ؟ ! ويكون بذلك يشبه إنساناً أحب خادمة لدى شخص عظيم ، فرغم عدم محبته لسيدها إلا أنه يخضع لعبوديته القاسية بسبب محبته للخادمة .

٤٠٨

يقول « يحتقر الآخر » دون أن يقول « يبغضه » ، لأنه غالباً ما لا يستطيع إنسان أن يبغض الله بل ليستهين به أى لا يخافه كما لو كان يشعر بكثرة مراحم الله . ولكن الروح القدس ينزع تلك النظرة المهلكة ، إذ يقول على لسان النبى « يا ابنى لا تزيد خطية على خطية وتقول رحمة الله عظيمة »[١] . « غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة »[٢] . فمن هو رحيم مثل الله، الذى يغفر كل خطايا الراجعين إليه ، ويجعل الدينونة البرية شريكة فى دسم الزيتونة كذلك من هو قاسى مثله حتى يقطع الأغصان الطبيعية لعدم إيمانها ؟ [٣] .

---

(١) أنظر حكمة يشوع ٥ : ٥ ، ٦ (٢) رو ٢ : ٤ .

(٣) رو ١١ : ١٧ ـ ٢٤ .

٤٩

لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون .

فبالرغم من أننا لا نطلب الكماليات ، لكن نخشى من أن يصير قلبنا مزدوجاً حتى فى طلب الضروريات . فنحن نخشى أن ينحرف هدفنا إلى طلب ما هو لصالحنا الخاص حتى عندما نصنع رحمة بالآخرين مبررين ذلك بأننا نطلب الضروريات لا الكماليات .

لقد نصحنا الرب أن نتذكر أنه عند خلقتنا وهبنا جسداً وروحاً وهما أفضل من الطعام واللباس . وبذلك لم يشأ أن تكون قلوبنا مزدوجة .

أليست الروح (الحياة) افضل من الطعام ؟

فالذى أعطى الروح ألا يهب الطعام ، والذى وهب الجسد أما يهب الملبس بسهولة ؟ ! .

٥٠

والسؤال المعتاد هنا هو : هل هناك صلة بين هذا الطعام والروح ، مع أن الروح غير مادية والطعام مادى ؟ ! .

إن الروح فى هذه العبارة يقصد بها « الحياة الزمنية » التى

تحتاج إلى قوت مادى . فقد وردت كلمة « روح » أو « نفس » بهذا المعنى فى النص التالى « من يحب نفسه يهلكها »[1]. فلو لم تفهم بهذا المعنى لناقضت القول « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » .

٥١

انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن . وابوكم السماوى يقوتها . السـتم انتم بالحرى افضل منها .

إنكم بلا شك أعظم من هذه الطيور لأن العاقل كالانسان أسمى من الكائنات غير العاقلة .

ومن منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعا واحدا ولماذا تهتمون باللباس .

الله الذى بحسب قدرته وقوته وهبك هذه القامة ، أفلا يستطيع أن يلبسك أيضاً ؟! فما دمت لم تبلغ إلى هذه القامة بقدرتك الخاصة ، لذلك لن تستطيع أن تزيد قامتك ذراعاً واحداً .

لهذا فلتترك الاهتمام بعناية جسدك هذا لذاك الذى بعنايته بلغ بك إلى هذه القامة .

---

(١) يو ١٢ : ٢٥ .

٥٢

وكما ضرب السيد مثالا خاصاً بالأكل ، هكذا ضرب مثالا خاصاً بالملبس إذ قال :

تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ، لا تتعب ولا تحصد ، ولكن اقول لكم انه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا ، افليس بالحرى جدا يلبسكم انتم يا قليلى الايمان .

لا نأخذ هذه الأمثلة كرموز ، فنبحث عما ترمز إليه ، بل هى حقائق صغيرة تؤكد لنا حقائق أكبر ، وهذا يشبه مثال القاضى الذى لم يكن يخاف الله ولا الناس ، ولكنه استسلم للأرملة التى كانت تلح عليه لينظر فى أمرها . فهو لم يستسلم لها لأجل رحمته بها ، بل ليتخلص من ضجرها . فلا يمكن أن نقول بأى حال من الأحوال أن هذا القاضى الظالم يرمز لشخص الله ، ولكنه ذكر كمثال يظهر لنا مدى اهتمام الله الصالح بأولاده الذين يتوسلون إليه . فمن هذا المثال أراد ربنا أن نستنبط أنه حتى الإنسان الظالم لا يستهين بمن يسألونه بلجاجة ولو كان لمجرد تجنبه مضايقة السائل .

٥٣

فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس

فان هذه كلها تطلبها الامم لان اباكم السماوى يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا اولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم

يجب علينا ألا نطلب هذه الأشياء كما لو كانت مصدر سعادتنا كما لا نصنع الخير ، لأجل نوالها رغم كونها ضرورية فى حياتنا.

لقد أوضح لنا رب المجد الفارق بين السعـــادة التى نطلبها وبين حصولنـا على ضروريات الحيـاة ، وذلك بقوله « أطلبوا أولا ملـكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لـكم » فملـكوت الله وبره هو الخير الذى نسعى إليه والذى نقصده من كل أعمالنا . ولـكننا إذ نخدم فى هذه الحياة كجنود راغبين فى ملـكوت السموات نحتـاج إلى الضروريات اللازمة للحياة ، لذلك قال الرب « هذه كلها تزاد لـكم » ، « ولـكن أطلبوا أولا ملـكوت الله وبره » .

فبقوله كلمة « أولا » أشار إلى طلبنا هذه الأشياء ، ولـكن لا نطلبها أولا ، لا من جهة الزمن بل بحسب الأهمية ، فملـكوت الله نطلبه كخير نسعى نحوه ، أما الضروريات فنطلبهـا كضرورة نحتاج اليها لتحقيق الخير الذى نسعى نحوه .

٥٤ ، ٥٥

فكمثال : ينبغى ألا نبشر بالإنجيل ، بقصد الحصـول على الطعام ، لـكننا نأكل لنستطيع التبشير بالإنجيل . فإن كنا نبشر

بالإنجيل لكى نحصل على الطعام ، يكون التبشير بالإنجيل فى نظرنا أقل أهمية من الطعام ، وبذلك تنصب سعادتنا فى الطعام، ويصير التبشير ضرورة لازمة لتحقيق سعادتنا (فى الأكل) . وهذا ما نهانا عنه الرسول عندما قال « إنه بسماح من الرب يجوز للذين يبشرون بالإنجيل أن يعيشوا من الإنجيل » ومع ذلك فلم يستخدم لنفسه هذا السلطان . والسبب فى ذلك أن كثيرين كانوا يرغبون فى الحصول على فرصة لبيع الإنجيل ، وقد أراد أن يضيع عليهم هذه الفرصة ، لذلك كان يعمل بيديه ، قائلا « لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة » [1] . لقد استقبح البشارة بالإنجيل كضرورة (أى كرهاً ، لنوال الطعام) بقوله « ألستم تعلمون أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون . الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح . هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون . أما أنا فلم أستعمل شيئاً مثل هذا » [2] . من ثم فقد أظهر أنه يجوز الأكل من الإنجيل ولكنه ليس كأمر إجبارى ، وإلا يكون فى عدم أكله من الإنجيل قد خالف وصية الله، لذلك أردف قائلا « ولا كتبت هذا لكى يصير فى هكذا . لأنه خير لى أن أموت من أن يعطل أحد فخرى » .

---

(١) ٢ كو ١١ : ١٢. (٢) ١ كو ٩ : ١٣ ـ ١٥.

يقول « إن كنت أبشر فليس لى فخر » أى إن كنت أبشر بالانجيل لنوال هذه الضروريات فإنى أكون قد جعلت هدف الانجيل هو الحصول على الأكل والشرب والملبس . ولكن لماذا « ليس لى فخر » ؟ « إذ الضرورة موضوعة علىّ » . أى فى هذه الحالة ينبغى لى التبشير لأنه كوسيلة للحصول على وسائل العيش ، أو لأننى أطلب ثماراً زمنية من التبشير بالأمور الأبدية، فيكون التبشير ضرورياً وليس طوعاً « فويل لى إن كنت لا أبشر » .

ولكن ما هو الهدف فى تبشيره ؟ ... إنه بقصد نوال جزاء الانجيل نفسه والحصول على ملكوت الله ، وبذلك يبشر به طوعاً لا كرهاً . فهو يقول « فإن كنت أفعل هذا طوعاً فلى أجر . ولكن إن كان كرهاً فقد استؤمنت على وكالة » ، أى إن كنت أبشر كرهاً للحصول على الأشياء الضرورية للحياة ، فسيناله بواسطتى الآخرون جزاء الانجيل ، هؤلاء الذين أحبوا الانجيل فى ذاته بواسطة تبشيرى، وأكون أنا قد حرمت من هذا الجزاء لأنى لا أحب الانجيل لذاته بل للحصول على الأشياء الزائلة. فمن يخدم الانجيل كعبد وليس كابن يكون قد اخطأ فى الوكالة التى استؤمن عليها ، لأنه يكون كما لو أعطى الآخرين ما قد حرم نفسه منه ، فلا يكون شريكاً فى ملكوت السموات بل يطرد

يقول « إن كنت أبشر فليس لى فخر » أى إن كنت أبشر بالانجيل لنوال هذه الضروريات فإنى أكون قد جعلت هدف الانجيل هو الحصول على الأكل والشرب والملبس . ولكن لماذا « ليس لى فخر » ؟ « إذ الضرورة موضوعة علىّ » . أى فى هذه الحالة ينبغى لى التبشير لأنه كوسيلة للحصول على وسائل العيش ، أو لأنى أطلب ثماراً زمنية من التبشير بالأمور الابدية، فيكون التبشير ضرورياً وليس طوعاً « فويل لى إن كنت لا أبشر » .

ولكن ما هو الهدف فى تبشيره ؟ ... إنه بقصد نوال جزاء الانجيل نفسه والحصول على ملكوت الله ، وبذلك يبشر به طوعاً لا كرهاً . فهو يقول « فإن كنت أفعل هذا طوعاً فلى أجر . ولكن إن كان كرهاً فقد استؤمنت على وكالة » أى إن كنت أبشر كرهاً للحصول على الأشياء الضرورية للحياة ، فسينال بواسطتى الآخرون جزاء الانجيل ، هؤلاء الذين أحبوا الانجيل فى ذاته بواسطة تبشيرى، وأكون أنا قد حرمت من هذا الجزاء لانى لا أحب الانجيل لذاته بل للحصول على الأشياء الزائلة. فمن يخدم الانجيل كعبد وليس كابن يكون قد اخطأ فى الوكالة التى استؤمن عليها ، لأنه يكون كما لو أعطى الآخرين ما قد حرم نفسه منه ، فلا يكون شريكاً فى ملكوت السموات بل يطرد

تنالون هذه أيضاً . وذلك لأنه يخشى من أن ننشغل عن ملكوت الله عندما نطلب هذه ، أو ربما يصير هدفنا مزدوجاً فنطلب ملكوت الله لذاته وهذه أيضاً لذاتها وليس لأجل ملكوت الله. « لانكم لا تقدرون أن تخدموا سيدين » .

وبما أن جميع الذين يتجندون ينالون طعامهم ومرتباتهم ، وان كان ليس جميعهم يعملون لأجل الخير العام ، بل هناك من يتجند بقصد أن يحصل على المرتب . هكذا ليس الكل يخدم الله من أجل سعادة الكنيسة بل هناك من يخدم لينال الأشياء الزمنية. وقد قيل قبلا « لا تقدروا أن تخدموا سيدين » . من ثم ينبغى أن نصنع الخير للجميع بقلب بسيط بقصد نوال ملكوت الله فقط، دون التفكير فى نوال الجزاء الزمنى وحده أو مع ملكوت الله . وكل الأشياء الزمنية قد وضعها الرب تحت كلمة « الغد » قائلا « لا تهتموا للغد » . لأن الغد لا يقال إلا فى الزمن حيث يوجد مستقبل . لذلك ليتنا عند صنع أى عمل صالح لا نفكر فيما هو زمنى بل فيما هو أبدى .

لان الغد لا يهتم بما لنفسه

أى عندما تحتاجون ستنالون الطعام والشراب والملبس من أبيكم العالم بحاجتكم إليها .

تنالون هذه أيضاً . وذلك لأنه يخشى من أن ننشغل عن ملكوت الله عندما نطلب هذه ، أو ربما يصير هدفنا مزدوجاً فنطلب ملكوت الله لذاته وهذه أيضاً لذاتها وليس لأجل ملكوت الله. « لأنكم لا تقدرون أن تخدموا سيدين » .

وبما أن جميع الذين يتجندون ينالون طعامهم ومرتباتهم ، وان كان ليس جميعهم يعملون لأجل الخير العام ، بل هناك من يتجند بقصد أن يحصل على المرتب . هكذا ليس الكل يخدم الله من أجل سعادة الكنيسة بل هناك من يخدم لينال الأشياء الزمنية. وقد قيل قبلا « لا تقدروا أن تخدموا سيدين » . من ثم ينبغى أن نصنع الخير للجميع بقلب بسيط بقصد نوال ملكوت الله فقط،دون التفكير فى نوال الجزاء الزمنى وحده أو مع ملكوت الله . وكل الأشياء الزمنية قد وضعها الرب تحت كلمة « الغد » قائلا « لا تهتموا للغد » . لأن الغد لا يقال إلا فى الزمن حيث يوجد مستقبل . لذلك ليتنا عند صنع أى عمل صالح لا نفكر فيما هو زمنى بل فيما هو أبدى .

لان الغد لا يهتم بما لنفسه

أى عندما تحتاجون ستنالون الطعام والشراب والملبس من أبيكم العالم بحاجتكم إليها .

ومتى حضرت فالذين تستحسنوهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم . وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً فسيذهبون معى . وسأجىء إليكم متى اجتزت بمكدونيا ... »[1].

وقد جاء فى سفر أعمال الرسل أنهم كانوا يستعدون للمستقبل لمواجهة المجاعة المحدقة ، إذ يقول « وفى تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى انطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة ، الذى صار أيضاً فى أيام كلوديوس قيصر . فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى الإخوة الساكنين فى اليهودية. ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول »[2].

كذلك عندما أبحر بولس الرسول كان الطعام المقدم له يكفيه لأكثر من يوم واحد[3] .

وكما كتب بولس الرسول « لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحرى يتعب عاملا الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج »[4] ، فقوله هذا يبدو لغير الفاهمين أنه مخالف لوصية

---

(١) ١ كو ١٦ : ١ ــ ٨ .
(٢) أع ١١ : ٢٧ ــ ٣٠ .
(٣) أنظر أع ٢٨ : ١٠ .
(٤) أف ٤ : ٢٨ .

الرب القائلة « أنظروا إلى طيـــور السماء . إنها لا تزرع ولا تحصـــد ولا تجمع إلى المخازن . وأبوكم السماوى يقوتها » . إذ يأمر الرسول اللصـــوص أن يعملوا بأياديهم ليكون لديهم ما يتصدقون به للآخرين .

كذلك يقول عن نفسه مراراً أنه يعمل بيديه حتى لا يكون ثقلا على أحد ، وأنه إلتصق بأكيلا بسبب مشابهته له فى العمل، حتى يعملا سوياً ليستطيعا العيش [1] .

فى هذه الأمور السابقة كلها يبدو كأنه لم يقلد طيور السماء وزنابق الحقل . ففى الحقيقة ربنا لم يمنع هذا الاهتمام (التدبير) بالنظر إلى هذه الضروريات نظرة طبيعية، لكنه يمنع (أن تكون هدفا) وأن يتجند لله من أجل الحصول على هذه الأمور ، فلا يهتم فى كل ما يعمله بملكوت الله بل على الحصول على هذه الأشياء .

٥٨

فهذه الوصية تنادى بالتفكير فى ملكوت الله ، حتى أثناء البحث عن الضروريات ، وألا يفكروا فيها أثناء خدمة الله . فإن كان الله يسمح أحياناً لخدامه بالاحتياج ، فذلك لا يثبط

(١) أنظر أع ١٨ : ٢ ، ٣ .

عزائمنا بل يقويها ، إذ يقول الرسول « نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشيء صبراً . والصبر تزكيـة والتزكيـة رجاء والرجاء لايخزى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى » [1] . كما ذكر الجوع والعطش والبرد والعرى عند ذكره للضيقات والأتعـاب التى تحملها [2] . . . وهذا لايعنى اخفـاق مواعيد الله . بل هو الطبيب ، الذى يتعهد أرواحنا ، وبواسطته نلنا الوعـد بالحياة الروحية ، فهو يعلم ما هو الصـالح لنـا فيدبر حياتنا وحياة كل من يريد لهم راحة فى هذا العالم حتى يـكونوا ثابتين فى الراحة الأبدية فيما بعد .

فالإنسان قد يحرم حيوانه أحياناً عن الأكل ، فهذا لايعنى عدم اهتمامه به ، بل بالحرى اعتنائه به .

✝ ✝ ✝

---

(١) رو ٥ : ٣ ــ ٥ . (٢) أنظر ٢ كو ١١ : ٢٣ ــ ٢٧ .

ثالثا : عدم ادانة الآخرين

٥٩

وطالما يصعب علينا معرفة هدف الآخرين من اكتنازهم للأشياء الزمنية ... فقد يكون قلبهم بسيطاً أو مزدوجاً ،لذلك يليق أن يقال : **لا تدينوا لكى لا تدانوا • لانكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون • وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم•**

أظن أننا من هذه الوصية نتعلم ضرورة افتراض أحسن قصد ممكن لاعمال الآخرين التى يمكن أن نشك فى نيتها . أما عندما كتب « من ثمارهم تعرفونهم » فقد قصد بها الثمار التى لا يمكن الشك فيها مثل الدعارة والتجديف والسرقة والسكر وأمثال ذلك التى سمح بالحكم فيها (من الكنيسة) حيث يقول الرسول « لانه ماذا لى أن أدين الذين من الخارج . ألستم أنتم تدينون من الداخل[1] . فلا ندين انساناً على أكل معين ، فقد يأكل بنية صالحة بدون شهوة ، لهذا يمنع الرسول الممتنعين عن أكل اللحم وشرب الخمر عن إدانة من يأكلونه ويشربونه ، قائلا « لايزدر من يأكل بمن لا يأكل . ولا يدن من لا يأكل من يأكل » . كما

---

(١) ١ كو ٥ : ١٢.

يقول « من أنت الذى تدين عبد غـيرك . هو لمولاه يثبت أو يسقط »[1] .

٦٠

ويدخل ضمن هذا النوع من الأعمـال التى يحتمل أن تصنع بقصد صالح أو شرير قول الرسول « إذا لا تحكموا فى شىء قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفـايا الظـلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يـكون المدح لـكل واحـد من الله »[2] . فأى حكم على هؤلاء يـكون فيه تهور منا . ويقول الرسول فى عبارة أخرى « خطايا بعض الناس واضحـة تتقدم إلى القضـاء . وأما البعض فتتبعهم »[3] . فالخطايا الظاهر نيتها دعاها خطايا واضحة، لا يتهور القضاء فى الحكم عليها . أما الخطايا الخفية فتتبعهم وهى لا تدوم مخفية . إذن فلنحكم (كـكنيسة) على الأعمال الواضحة، أما الخفية فلنتركها لحـكم الله ، فسيأتى الوقت تنكشف فيه .

٦١

ينبغى علينا ألا نحـكم على الآخرين فى أى حالة من الحالتين التاليتين : —

---

(١) رو ١٤ : ٣ ، ٤ . (٢) ١ كو ٤ : ٥ .
(٣) ١ تى ٥ : ٢٤ .

(١) إذا كانت النية غير واضحة .

(٢) إذا كانت حالة الشخص المستقبلة غير ثابتة فهناك احتمال أن يصير صالحاً أو شريراً .

مثال ذلك ، لو أن إنساناً لم يرغب فى الصوم بحجة مرض معدته . فإن لم تصدقه تكون قد تهورت فى حكمك ، كذلك لو عرفت أن النهم والسكر رذيلتان واضحتان، فتوبخ من يرتكبها كأنه لن يصلح بعد ، تكون قد تهورت فى حكمك .

ليتنا لا نحكم على الأمور غير الواضح نيتها ، كما لا نحكم على الأمور الواضح نيتها ، كأننا قد يئسنا من رجوع من يرتكبها إلى الحق ... لذلك قيل « لا تدينوا لكى لا تدانوا » .

٦٢

لكن قد يحيرنا قول الرب « لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » . فهل إذا حكمنا على أحد بتهور يحكم الله علينا بتهور ؟! أو إذا كلنا شيئاً بكيل ظالم هل يرد الله لنا ذلك بكيل ظالم ؟!

إنه لا يمكن أن يحكم بتهور أو يجازى أحداً بكيل ظالم ، بل قال بهذه العبارة قاصداً أننا بتهورنا نعاقب أنفسنا لا الآخرين .

فقد نتصور أن الظلم يضر المظلوم لكن بالعكس غالباً لا يضر المظلوم بل الظالم نفسه . فما هو الضرر الذى أصاب الشهداء من مضطهديهم ؟! لا شيء ، بل عاد الضرر على المضطهدين أنفسهم . فإن كان البعض عاد إلى الحق لكن أثناء اضطهادهم كانت شرورهم قد أعمتهم عن الحق .

وبنفس الطريقة نفسر « كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون »[1] . فكم من كثيرين ضربوا بالسيف دون أن يهلكوا بالسيف كبطرس الرسول الذى ضرب أذن عبد رئيس الكهنة دون أن يموت بالسيف ، لكن صلب حتى لا يظن أنه هرب من الضرب بالسيف بواسطة غفران خطاياه. ومع هذا فماذا يقولون عن اللصين الذين صلبا مع السيد المسيح[2] ، فهل صلبا جميع الذين قتلوهم حتى استحقا الصلب ؟! . إنه من المضحك أن نقول بذلك. إذن ماذا يقصد بالعبارة « كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » سوى أن الروح ستموت بارتكابها للخطية مهما كانت هذه الخطية ؟! ...

٦٣

ينصحنا الرب ألا نحكم على أحد بتهور أو بظلم ، لأنه يرغب

(١) مت ٢٦ : ٥٢ .   (٢) أنظر لو ٢٣ : ٣٣-٤٣ .

فى أن نصنع كل شىء بقلب بسيط متجه دائماً نحو الله . هذا وإذ يكون استعداد من يحكم على الآخرين هو البحث عن خطايا الغير لتوبيخهم وإدانتهم، لا لإصلاحهم وتهذيبهم فى محبة ... كل هذا بسبب كبريائهم أو حسدهم ، لذلك أضاف رب المجد .

ولماذا تنظر القذى الذى فى عين اخيك • واما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها •

فلو سقط أخوك فى خطيـة الغضب ، تسقط أنت فى خطية الـكراهيـــة (بإدانتك له) . وهنـاك فرق شاسع بين الغضب والـكراهية كما هو بين القذى والخشبة .لأن الـكراهية هى غضب زمن ، فبطول الزمن اشتد القذى (الغضب) حتى صار يدعى بحق خشبة (الـكراهيـة) . فإنك إن غضبت على إنسان فلابد أنك ترغب فى رجوعه إلى الحق ، أما إذا كرهته فلا يمـكن لك أن تشتاق إلى رجوعه .

٦٤

ام كيف تقول لاخيك دعنى اخرج القذى الذى فى عينك وها الخشبة فى عينك • يامرائى اخرج اولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيدا ان تخرج القذى من عين اخيك •

أزل عنك الـكراهية حتى تستطيع اصلاح من تحبه . حسناً

يقول الرب « يا مرائى »لأن الإنسان المحب ، وحده الذى له أن يشتكى من خطايا الآخرين ، أما الشرير،فمتى اشتكى على الآخرين يكون مرائياً ، إذ يظهر نفسه بصورة غير التى هو عليها ... فهناك صنف من المتصنعين يشتكون من خطايا الآخرين كالكراهية والضغينة بقصد الظهور بمظهر أصحاب المشورة ... لنحذر لئلا نسقط فى هذا ، كذلك إذا اضطررت إلى الكشف عن أخطاء الآخرين أوانتهارهم.فلننظر إلى أنفسنا إن كنا نرتكب نفس الخطايا، أو سبق لنا ارتكابها.فإن كنا لم نرتكبها لنعلم أننا بشر معرضون للخطية.أما إن كنا قد ارتكبنا الخطية من قبل وقد تحررنا منها، فلنذكر ضعفنا على الدوام . لذلك وجب علينا أن نكمن لمن نكشف أخطاءهم المحبة لا الكراهية ... ولنحذر لئلا ننشغل بخطاياهم ... فلا نلوم الخاطىء ولا ننتهره ، بل نحزن بشدة على حالتنا هذه ، غير طالبين منه أن يطيعنا ، بل أن يجاهد معنا .

٦٥

عندما يقول الرسول « فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود. والذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. والذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا

ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شيء لأخلص على حال قوماً » [1] . فبلا شك لا يفعل هذا تصنعاً كما قد يحسب البعض ، مبررين بذلك تصنعهم الممقوت . فهو يفعل هذا حباً فيهم ، متأثراً بضعفات الآخرين حاسباً إياها ضعفاً له . وقد سبق أن وضع هذه القاعدة « فإني إذا كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الكثيرين » [2] . وتظهر محبته وشفقته على الضعفاء كما لو كانت ضعفاتهم ضعفه هو . وليس تصنعاً منه قوله « فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً » [3] .

٦٦

فعلينا ألا نستخدم التوبيخ إلا نادراً . وإذا إضطررنا إلى استخدامه يجب علينا أن نسعى بشغف إلى خدمة الله لا أنفسنا . ليكون لنا هدفاً واحداً ، فلا نفعل شيئاً بقلب مزدوج . لنخرج من أعيننا خشبة الحسد أو الحقد أو التصنع ، حتى نتمكن من

(١) ١ كو ٦ : ٢٠-٢٢ .
(٢) ١ كو ٩ : ١٩ .
(٣) غلا ٥ : ١٣ .

الابصار فنخرج القذى من عينى أخينا . لننظر إلى القذى بعينى الحمامة ، اللتين لعروس المسيح [١] ، التى أختارها الله لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن . أى نقية لا غش فيها [٢] .

† † †

(١) أنظر نش ٤ : ١.

(٢) أنظر أف ٥ : ٢٧.

عدم طرح الدرر

٦٧

قد يسيء البعض فهم « لا غش فيها Guileless » حاسباً أن من يخبيء الحقيقة عن الآخرين ، في أى ظرف من الظروف يكون كمن يتكلم باطلا . لقد أضاف الرب **لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها وتلتفت فتمزقكم** . فالرب نفسه رغم عدم نطقه بالكذب قط ، أخفى حقائقاً معينة إذ يقول « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن »[1] . كما يقول الرسول بولس « وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون »[2] .

٦٨

لنتساءل ... ماذا يقصد الرب بالقدس والدرر ؟ وما هو المقصود بالكلاب والخنازير ؟ ...

---

(١) يو ١٦ : ١٢ .   (٢) ١ كو ٣ : ١، ٢ .

(١) **القدس:** الشيء المقدس هو الشيء الذى يكون من الكفر تدنيسه وإفساده ، فمجرد المحاولة أو الرغبة فى تدنيسه أو إفساده يعتبر جريمة حتى ولو لم يدنس الشيء أو يفسد .

(٢) **الدرر** : يقصد بها الأمور الروحية التى ينبغى أن تكون لها مكانة عظيمة فى نظرنا ، لأنها مخبأة فى مكان خفى .. كما لو كانت تجلب من العمق وتغطى بغطاء من الرموز كما لو كانت قشرة لها .

ويمكننا أن نفهم القدس والدرر على أنهما شيء واحد ، لكنه دعى « مقدساً » بسبب وجوب عدم إفساده ، وسمى « درراً » لوجوب عدم الازدراء به ، فالإنسان يسعى نحو إفساد ما لا يرغب فى ابقائه سليماً ويحتقر ما يحسبه تافهاً ومنحطاً . لذلك يقال عن الشيء المحتقر أنه مدوس بالأقدام .

يقول الرب « لا تعطوا قدسكم للكلاب » لأن الكلاب تهجم على الشيء وتمزقه وبالرغم من عدم قدرتها على تمزيقه وإفساده لأنه سيبقى سليماً بلا دنس ، لذلك فلنفكر فيما يرغبه أولئك الذين يقاومون الروح بعنف وعداء شديد ، هؤلاء الذين يرغبون فى تدمير الحق قدر المستطاع لو أمكن تدميره . أما الخنازير فتختلف عن الكلاب إذ لا تهجم على الشيء لتمزقه بأسنانها

(١) **القدس**: الشيء المقدس هو الشيء الذى يكون من الكفر تدنيسه وإفساده، فمجرد المحاولة أو الرغبة فى تدنيسه أو إفساده يعتبر جريمة حتى ولو لم يدنس الشيء أو يفسد.

(٢) **الدرر**: يقصد بها الأمور الروحية التى ينبغى أن تكون لها مكانة عظيمة فى نظرنا، لأنها مخبأة فى مكان خفى. كما لو كانت تجلب من الصدق وتغطى بغطاء من الرموز كما لو كانت قشرة لها.

ويمكننا أن نفهم القدس والدرر على أنهما شيء واحد، لكنه دعى «مقدساً» بسبب وجوب عدم إفساده، وسمى «درراً» لوجوب عدم الازدراء به، فالإنسان يسعى نحو إفساد ما لا يرغب فى ابقائه سليماً ويحتقر ما يحسبه تافهاً ومنحطاً. لذلك يقال عن الشيء المحتقر أنه مدوس بالأقدام.

يقول الرب «لا تعطوا قدسكم للكلاب» لأن الكلاب تهجم على الشيء وتمزقه وبالرغم من عدم قدرتها على تمزيقه وإفساده لأنه سيبقى سليماً بلا دنس، لذلك فلنفكر فيما يرغبه أولئك الذين يقاومون الروح بعنف وعداء شديد. هؤلاء الذين يرغبون فى تدمير الحق قدر المستطاع لو أمكن تدميره. أما الخنازير فتختلف عن الكلاب إذ لا تهجم على الشيء لتمزقه بأسنانها

لـكنها تدنسه إذ تدوسـه بأرجلها بطياشة « ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير . لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقـكم » .

إذن لنفهم « الـكلاب » على أنها تشير إلى « مقاومى الحق » ، والخنازير على « محتقرى الحق » .

٦٩

لم يقل الرب « تلتفت وتمزق الدرر » بل « وتمزقـكم » لأنهم إذ يدوسون الدرر ينتظرون من ملقين الدرر أن يسمعوا منهم شيئاً آخـــر فلا يجدوا فيمزقونهم . فليس من السهل أن نجد ما يبهج الخنازير التى تحتقر الأمور الإلهية ، تلك التى نكتشفها بعد جهد عظيم .

فلست أعلم كيف يستطيع مقـدم الدرر هذا أن يهرب من تمزيقه بواسطة هذه الجماعات الثائرة والمحتقرة للأمور الروحية .

هذا ونلاحظ أن كلا من الكلب والخنزير نجس (بحسب الشريعة الموسوية) لهذا لنحذر من كشف الأمور المقدسـة لمن لا يستطيع قبولها ، مفضلين أن نتركه هو يطلب منا أن نـكشف ما خفى عنه ، عن أن نـكشف له فيهاجم ويزدرى .

إن سر عدم قبولهم للأمور الروحية هى الـكراهية التى بسببها

دعوا « كلاب » والازدراء الذى بسببه دعوا « خنازير » .

فعلى من يرغب فى نقاوة قلبه ألا يظن نفسه ملوماً لاخفائه شيئاً عمن لا يستطيع احتماله. وهذا لا يبيح الكذب، لأن الاخفاء لا يعتبر نطقاً بالباطل. من ثم فالخطوات الأولى هى إزالة العوائق التى تمنعه من قبول الحق . فإن كانت النجاسة هى العائق عن قبوله الحق ، فلينق أولا بالكلمة أو بالفعل قدر ما تستطيع .

٧٠

لا يظن أن ربنا أعطى القدس للكلاب أو طرح الدرر للخنازير ، عندما نطق بكلمات لم يقبلها كثيرون من الحاضرين بل قاوموها واحتقروها لأنه قدمها لمن كان فى قدرتهم قبولها ، وإن كان يوجد معهم من هم غير قادرين على قبولها ، فوجود هؤلاء لا يمنعه من تقديمها لمن يقبلها .

فعندما سأله الذين كانوا يجربونه ، أجابهم على أسئلتهم حتى لا يكون لهم ما يقاومون به ... وبذلك هيأ المجربون للمسيح فرصة ليستفيد منها الذين كان لهم استعداد لقبول كلمته .

تحدثت بهذا حتى لا يمتنع غير القادرين عن الإجابة بحجة أنهم لا يعطون القدس للكلاب أو يطرحون الدرر أمام الخنازير.

فمن يعرف الإجابة فليجب ولو لفائدة غير السائلين مادام الحديث عن أمور مفيدة وتعاليم خلاصية. فكثيراً ما يسأل بعض الكسالى أسئلة لا تهمهم بل وقد تكون ضارة بهم، ومع ذلك فينبغي علينا إما أن نجيب على السؤال مباشرة، وذلك فى الأمور المفيدة. مثل سؤال الصديقيون عن مصير المرأة التى تزوجت بسبعة أخوة فلمن منهم ستكون زوجة فى الحياة الأبدية ؟ فقد أجابهم الرب بأن فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء. أو أن تكون الإجابة على السؤال بسؤال فإذا ما أجاب على سؤالنا يكون قد أجاب على سؤاله، أما إذا رفض الإجابة، فيليق بنا عدم إجابته على سؤاله. فعندما سألوا السيد ليجربوه « هل نعطى الجزية لقيصر أم لا ؟ أجابهم » وما هى الصورة التى تحملها العملة التى تقدمتم بها ؟ فلما أجابوه أنها تحمل صورة قيصر أجابوا على أنفسهم فاستنتج لهم إجابة سؤالهم من إجابتهم لسؤاله « اعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (١).

وعندما سأله رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بأى سلطان يفعل هذا، أجابهم بسؤال خاص عن معمودية يوحنا، فلما لم يجيبوا

(١) أنظر مت ٢٢ : ١٥ـ٢٤.

عليه لأنهم عرفوا أن بإجابتهم عليه ينفضحون ، لم يجرأوا على الحديث بشر عن يوحنا خوفاً من الشعب، حينئذ قال لهم يسوع « ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا »[1]. فهذا الرفض على الإجابة كان فى نظر الحاضرين رفضاً عادلا . لأن رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب رفضوا إبداء رأيهم فى يوحنا المعروف تماماً . فقد سبق لهم أن أرسلوا إلى يوحنا يسألونه عن نفسه من هو، إذ بالحرى لكونهم كهنة ولاويين أرسلوا إليه ظانين إياه أنه المسيح، أما هو فأجابهم بأنه ليس هو ، إنما شاهد للمسيح [2]. فلو قبلوا شهادة يوحنا لعرفوا بأى سلطان يصنع السيد المسيح هذا .

† † †

(١) أنظر مت ٢١ : ٢٣ ـ ٢٧ .   (٢) يو ١ : ١٩ ـ ٢٧ .

اسألوا.. اطلبوا.. اقرعوا..

٧١

إذ يسمع الإنسان تلك الوصية التى تمنعنا من إعطاء القدس للكلاب وطرح الدرر أمام الخنازير ، قد يعترض شاعراً بجهله وضعفه ، لأن الوصية تمنعه من أن يعطى ما لم يأخذه بعد، قائلاً « أى قدس هذا الذى تمنعنى من إعطائه للكلاب ، وأى درر تلك التى تمنعنى من طرحها للخنازير ، فإننى أشعر بأننى لا أملك شيئاً من هذا » . لهذا يليق برب المجد أن يردف قائلاً :

اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له .

يشير السؤال إلى نوالنا قوة الفكر ومتانته ، حتى نتمكن من العمل بالوصايا . أما الطلب فيشير إلى وجود الحق . فالحياة المباركة تكمن فى كل من العمل والمعرفة . فالعمل يتطلب قوة ، أما المعرفة فتتطلب ايضاحاً للأمور . فالأول يسأل والثانى يطلب . لذلك فالأول يعطى والثانى يوجد - غير أن المعرفة تخص معرفة الطريق لا إمتلاكه ، لكن من وجد الطريق الحقيقى فسيملك أيضاً ، لأنه يفتح لمن يقرع .

٧٢

ولكى تفهم ما يقصد بالسؤال والطلب والقرع ، نفترض وجود رجل أعرج ، فمثل هذا يعطى له أولاً الشفاء أى القدرة على المشى ، وهذا ما قصده الرب بالسؤال . لكن ماذا ينتفع بالمشى أو حتى الجرى إن استخدمه فى طريق منحرف ؟ لذلك فالخطوة الثانية هى أن يجد الطريق المؤدى إلى المكان المطلوب .. وهذا ما قصد به الطلب . لكن ما المنفعة إن كان قادراً على المشى وعرف الطريق وكان الباب مغلقاً . . . لذلك قال « اقرعوا » .

٧٣

لقد وهبنا الرب رجاء لا خداع فيه بوعده « لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له » ، من ثم فنحن نحتاج إلى المثابرة . وقد ضرب لنا أمثلة كما سبق أن استخدم الأمثلة فى حديثه عن عدم القلق من جهة الطعام واللباس . لذلك نجده يقول :

ام اى انسان منكم اذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا ، وان سأله سمكة يعطيه حية . فان كنتم وانتم اشرار تعرفون أن تعطوا اولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى ابوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه .

لكن كيف يستطيع الاشرار أن يعطوا عطايا صالحة ؟!
لقد دعاهم أشراراً لأنهم لا زالوا إلى الآن محبين للعالم وخطاة.
وقد دعيت الأشياء صالحة بحسب مشاعرهم ، فهى رغم كونها
صالحة حسب طبيعتها لكنها أمور زمنية خاصة بهذه الحياة
الواهية . غير أن الاشرار لا يعطون هذه العطايا من عندهم لأن
للرب الأرض وملؤها [1] ، الذى صنع السماء والأرض والحجر
وكل ما فيها [2] .

فإن كنا ونحن أشرار نعرف كيف نعطى ما يسألونه منا فلا
نخدع أبناءنا بل نعطيهم أشياء صالحة ليست منا بل من الرب ،
فكم بالأكثر يكون رجاؤنا فى الرب أن يعطينا عندما نطلب منه
أموراً صالحة .

رابعا : محبة النـاس

٧٤

عند سيرنا فى طريق الحكمة نجد قوة ونشاطاً يكمنان فى
الأخلاق الطيبة التى تسمو بحسب نقاوة القلب وسلامته ، الأمر
الذى عالجه الرب بإطالة مختتماً إياه بقوله **« فكل ما تريدون ان**

---

(١) أنظر مز ٢٤ : ١ . (٢) أنظر مز ١٤٦ : ٦ .

يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء » . . . والعبـــارة « كل ما تريدون » تتضمن معنى « الأعمـال الصالحة » لأنه لا توجد إرادة « كل ما تريدون » إلا فيما هو صالح ، أما إرتـكاب الأمور الشريرة فيحدث عن الشهوة لا الإرادة .

٧٥

مقارنة مع ما ورد فى مت ٢٢ : ٣٧ — ٤٠

إن الوصية القائلة « أن نفعل للناس ما نريد أن يفعله الناس بنا » تبدو كما لو كانت تخص محبتنا لأقربائنا فقط دون أن نتكلم عن محبتنا لله . وقد جاء فى موضوع آخر أن هناك وصيتان بهما « يتعلق الناموس كله والأنبياء وهما محبة الله والناس» . فلو قال « كل ما تريدون أن يفعل بكم » . . . لشملت هذه العبـــارة الوصيتين لأن كل إنسان يريد أن يكون محبوباً من الله والنـاس وبالتالى فعليه أن يحب الله والناس ، لـكنه ذكر « يفعل الناس» ومع ذلك أضاف « لأن ذلك هو الناموس والأنبياء » . فعندما تحدث عن الوصيتين قال « يتعلق الناموس كله والأنبياء » أما هنا فلم يذكر « كله » تاركاً مجالاً للوصـــية الأخرى الخاصة بمحبة الله .

فإذن يتكلم الرب هنا معقباً على الوصايا الخاصة بسلامة القلب ، يخشى من أن يكون للانسان قلباً مزدوجاً من جهة البشـــر ، هؤلاء الذين لا يريدون القلب المزدوج . . . فكل إنسان لا يرغب فى أن يعامله شخص مزدوج القلب .

٧٦

كيف نصل الى نقاوة القلب ؟

إن تنقية العين والعمل على سلامتها ، يمكنها من رؤية نورها الداخلى والتأمل فيه . والعين موضع البحث هنا هى عين القلب. وهى تكون سليمة : —

(١) لمن يصنع أعماله الصالحة بغير قصد إرضاء الناس . أما إذا أرضاهم فيوجه هذا الرضى نحو خلاصهم وتمجيد الله لا الافتخار الفارغ .

(٢) إذا صنع شيئاً صالحاً بقصد خلاص أخيه فلا يقصد من ذلك الحصول على ضروريات الحياة .

(٣) ولا يدين أحداً . . .

(٤) وكل إحسان يقدمه لإنسان لا ينتظر منه جزاءً زمنياً.

بهذا يكون القلب سليماً ونقياً فيعاين الله ... لذلك « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » .

٧٧

إن موضوع نقاوة القلب يهم قليلون . وقد بدأ يتحدث عن البحث عن الحكمة التي هي شجرة الحياة . . . ، لذلك فإن عين كهذه أعطيت لها هذه الوصايا تقف لترى الباب الضيق والطريق الكرب ، لذلك يكمل الرب قائلاً :

ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه ما اضيق الباب واكرب الطريق الذى يؤدى الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه .

لم يقل بهذا لأن نير الله صعب أو حمله ثقيل ، بل لأن قليلين هم الذين يرغبون فى التخلص من أتعابهم ، غير مبالين بالذى يصرخ قائلاً « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين . . . وأنا أريحكم . أحملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب . . . لأن نيرى هين وحملى خفيف »[1] . . .

† † †

(١) مت ١١ : ٢٨ ـ ٣٠ .

الأنبياء الكذبة

٧٨

لنتطلع نحن إلى أولئك الذين يحسبون أنفسهم حكماء وعارفى الحق لمجرد قلة عددهم مثل الهراطقة . فلكى لا يستغلوا القول بأن قليلين هم الذين يجدون الباب الكرب والطريق الضيق ، أضاف الرب للحال :

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة .

على أن هؤلاء لن يستطيعوا أن يخدعوا ذوى العيون السليمة، الذين يعرفون كيف يميزون بين الشجر من ثماره ، إذ يقول « من ثمارهم تعرفونهم » . وقد أضاف الرب التشبيهات التالية :

هل يجتنون من الشوك عنبا او من الحسك تينا . هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثمارا جيدة واما الشجرة الرديئة فتصنع اثمارا رديئة . لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع اثمارا رديئة . ولا شجرة رديئة ان تصنع اثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع و تلقى فى النار . فاذن من ثمارهم تعرفونهم .

٧٩

لنحذر جداً فى تفسيرنا لهذه العبارة ، لئلا نظن وجـــود

طبيعتين مختلفتين للشجر ، أحدهما تنتمى إلى الله والأخـــرى لا تنتمى إليه ، هذا خطأ فى التفسير سبق لى أن عالجته فى كتبى الأخرى وبخاصة عند الرد على أتباع مانى . وإننى سأوضح كيف أن هاتين الشجرتين لا تؤيدان معتقدهم :

اولا : من الواضح أن رب المجد يتحدث عن البشر لا عن الطبيعة البشرية ...

ثانيا : إن الهراطقة يهتمون بالقول «لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة » وبهذا يظنون أنه لا يمكن لانسان شرير أن يصير صالحاً ولا الصالح أن يصير شريراً ، مع أن المسيح لم يقل « لا تقدر شجرة جيدة أن تصير رديئة ولا رديئة أن تصير جيـــدة » بل قال « لاتقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة » . فالشجرة هى روح الانسان وثمارها هى أعماله . وبذلك لا يستطيع إنسان شرير أن يصنع أعمالا صالحة ولا الصالح أعمالا شريرة . فإن أراد الشـــرير أن يصنع أعمالا صالحة فيصير أولا صالحاً . وهذا ما يقـوله رب المجد نفسه فى عبارة أخرى بأكثر وضوح «اجعلوا الشجرة جيدة أو اجعلوها

رديئة »[1]. فلو قصد رب المجد وجود طبيعتين بشريتين أحدهما شريرة والأخرى صالحة لما قال « اجعلوا » لأنه مَن من البشر يستطيع أن يخلق طبيعة بشرية ؟! كذلك نجده أضاف قائلا « يامرائين كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار آ!! » فطالما كان الإنسان شريراً لا يستطيع صنع الأعمال الصالحة وإلا لما كان شريراً . لذلك قيل بحق أن الثلج لا يمكن أن يسخن وأما إذا سخن فلا يعود بعد ثلجاً بل ماء . هكذا يمكن للشرير أن يتحول عن كونه شريراً ولكنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يصنع شيئاً صالحاً طالما هو شرير .

غير أن الشرير أحياناً يكون نافعاً ، ولكن نفعه هذا ليس من ذاته . مثال ذلك قيل عن الفريسيين « كل ما قالوا لكم أن تحفظوه احفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا »[2]. فهم يتكلمون بأشياء صالحة ، فكل من يصغى إلى كلماتهم ويعمل بها يستفيد . ولكن هذه الفائدة ليست نابعة منهم بل كما يقول « على كرسى موسى جلس » . فهم يعلمون بالعناية الإلهية تعاليم الشريعة ، ويستطيعون أن يفيدوا من يصغون إليهم رغم عدم

---

(١) أنظر مت ١٢ : ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) أنظر مت ٢٣ : ٣ ، ٢ .

استفادتهم هم شخصياً وقد تحدث النبي عن هذا الأمر قائلا « زرعوا حنطة وحصدوا شوكاً »[1]. لأنهم يعلمون الصلاح ويصنعون الشرور. فمن ينصت ويصنع بقولهم لا يجتني عنباً من الشوك وإنما يجتني عنباً من الكرمة بواسطة الشوك. وذلك كمن يقطف عنباً خلال السياج أو كمن يجتني العنب من كرمة إلتفت حول الشوك. فالثمرة ليست من الشوك بل هي ثمرة الكرمة.

٨٠

السؤال الهام هو: ما هي هذه الثمار التي منها تعرف الشجرة؟ لأن كثيرين يرون الثمار خاصة بثياب الحملان لا بالحملان نفسها فيخدعون من الذئاب الحاملة ثياب الحملان. من هذه الثمار الصوم، والصلاة، والصدقة، هذه الأمور التي يمكن حتى للمرائين أن يصنعونها، لذلك قال الرب « احترزوا من أن تصنعوا بركم قدام الناس لكي ينظروكم ».

فكثيرون يتصدقون بسخاء على الفقراء لا بعطفهم عليهم بل بدافع الكبرياء.

وكثيرون يصلون أو بالحري يظهرون كما لو كانوا يصلون،

(١) ار ١٢ : ١٣.

مع أنهم فى حقيقتهم لا يتطلعون إلى الله بل إلى مدح الناس .

وكثيرون يصومون مظهرين زهداً عجيباً لينالوا كرامة من الذين يستصعبون هذه الأمور .

فبمثل هذه الحيل والخداعات تخطف الحملان الذئاب وتفترس تلك التى لا تستطيع أن تدرك حقيقتهم . إذن لا ينصحنا الرب بالصدقة والصلاة والصوم كثمار نعرف بها الشجرة لأنها تخفى ثياب الحمل لا الحمل ذاته ... وذلك متى صنعت بقصد سليم . أما إذا صنعت فى خداع فإنما تخفى تحتها ذئاب ، ولا يعنى هذا أن تكره الحملان ثوبها (الصوم . الصلاة . الصدقة) لمجرد لبس الذئاب لها .

٨١

لقد أخبرنا الرسول عن الثمار التى بها نعرف أن الشجرة رديئة وهى : « وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبق فقلت أيضاً أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت السموات » ويخبرنا أيضاً عن الثمار التى تعرف بها الشجرة الجيدة

فيقول « وأما ثمر الروح فهى : محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان . وداعة تعفف » (١) . ينبغى علينا أن نفهم كلمة « فرح » هنا بالمعنى الدقيق لها ، لأن الأشرار لا يتحدثون عن الفرح فى معناه الدقيق بل فى صورته المتطرفة . فالمعنى الدقيق للكلمة تعنى الفرح الخاص بالصالحين فقط ، ذلك كما يقول النبى « لا فرح للأشرار يقول الرب » (٢) .

وأيضاً كلمة « الإيمان » لا يقصد بها أى إيمان بل « الإيمان الحقيقى » . وهكذا بالنسبة للأمور الأخرى ، فإن لها مشابهات لدى الأشرار والمخادعين يضللون بها الانسان غير النقى العينين . لذلك حسن جداً أن تكون العين أولا سليمة وعندئذ تنظر إلى الأشياء التى تحذرها حتى لا تخدع بها .

٨٢

لنحذر لئلا أثناء جهادنا من أجل الحكمة التى فى المسيح وحده « المذخر فيه كل كنوز الحكمة » (٣) . أقول لنحذر لئلا يخدعنا المراطقة ومحبوا العالم باسم المسيح نفسه . لذلك أضاف الرب

---

(١) غلا ٥ : ١٩ـ٢٣ .   (٢) أش ٥٧ : ٢١ .

(٣) كو ٢ : ٣ .

فيقول « وأما ثمر الروح فهى : محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان . وداعة تعفف »[1] . ينبغى علينا أن نفهم كلمة « فرح » هنا بالمعنى الدقيق لها ، لأن الأشرار لا يتحدثون عن الفرح فى معناه الدقيق بل فى صورته المتطرفة . فالمعنى الدقيق للكلمة تعنى الفرح الخاص بالصالحين فقط ، ذلك كما يقول النبى « لا فرح للأشرار يقول الرب »[2] .

وأيضاً كلمة « الإيمان » لا يقصد بها أى إيمان بل « الإيمان الحقيق » . وهكذا بالنسبة للأمور الأخرى ، فإن لها مشابهات لدى الأشرار والمخادعين يضللون بها الانسان غير النقى العينين . لذلك حسن جداً أن تكون العين أولا سليمة وعندئذ تنظر إلى الأشياء التى تحذرها حتى لا تخدع بها .

٨٢

لنحذر لئلا أثناء جهادنا من أجل الحكمة التى فى المسيح وحده « المذخر فيه كل كنوز الحكمة »[3] . أقول لنحذر لئلا يخدعنا الهراطقة ويحبوا العالم باسم المسيح نفسه . لذلك أضاف الرب

(١) غلا ٥ : ١٩ـ٢٣ . (٢) أش ٥٧ : ٢١ .
(٣) كو ٢ : ٣ .

لى فى ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لا أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » فهو لا يعرف غير صانعى البر . لهذا منع الرب تلاميذه من أن يفرحوا بصنع المعجزات مثل خضوع الشياطين لهم قائلاً « بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السماء » [1] . أى فى مدينة أورشليم التى لا يملكها سوى الأبرار والقديسون كما يقول الرسول « ألستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله » [2] .

٨٥

لكن قد يقول قائل بأن الظالمين لا يستطيعون فعل هذه القوات المنظورة ، وأنهم يقولون كذباً « باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات » . لكننا لننظر ما صنعه ساحروا مصر المقاومين لموسى خادم الله [3] . وإن كانت لم تصنع باسم المسيح فلنقرأ ما قاله الرب نفسه عن الأنبياء الكذبة « حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة

(١) لو ١٠ : ٢٠ . (٢) ١ كو ٦ : ٩ .
(٣) أنظر خر ٧ ، ٨ .

وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم [1] .

٨٦

كم يلزم للإنسان أن تكون عينه نقية وسليمة حتى يجد طريق الحكمة الذى تعترضه خداعات الأشرار الضالين وأخطارهم . فبعينه النقية يهرب من هذه الخداعات إلى السلام الأكيد والحكمة الراسخة القوية . لأن الخطورة هى أن ينشغل بالمناقشات والجدال فلا يرى ما يراه القايلون . لأن مخاطر الأشرار فى ذاته تافهة ، لكن خطورته أن ينشغل الإنسان به فيضطرب ، لذلك يقول الرسول « وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات ، مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق » [2] . لذلك طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون .

٨٧

يالها من خاتمة مرعبة تلك التى ختم بها الرب العظة ، إذ يقول **فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها اشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر** . لأن بالعمل يثبت الإنسان ما قد سمعه

(١) مت ٢٤ : ٢٣ ـ ٢٥ . (٢) ٢ تى ٢ : ٢٤ ، ٢٥

وما فهمه. فإن كان المسيح هو الصخرة كما يشهد الكتاب المقدس، إذن فالذى يعمل بما يسمعه إنما يبنى على المسيح .

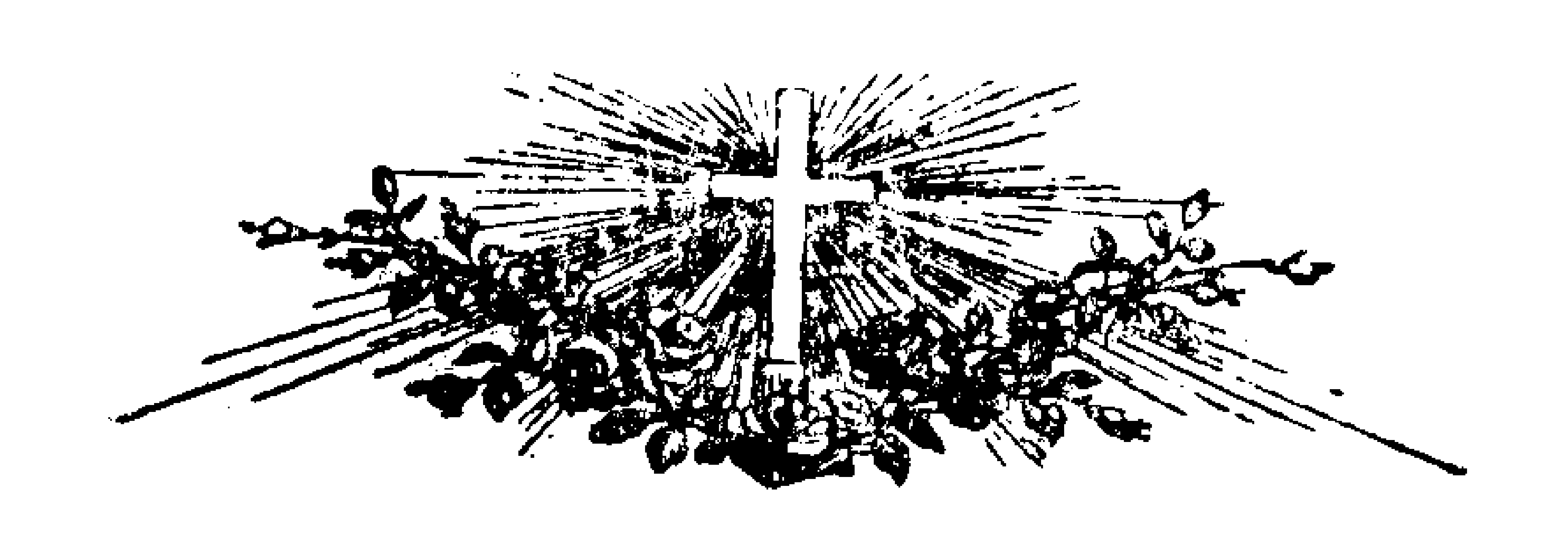
فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر . فالإنسان المؤسس على المسيح لا يخاف من الخزعبلات المظلمة ، لأنه ماذا يعنى بالمطر سوى أمور رديئة ، ولا يخشى اشاعات البشر التى كما أظن مرموز إليها بالرياح ، ولايخاف من هذه الحياة (التى كما لو كان) تفيض على الأرض بالشهوات الجسدية ... أما الإنسان الذى يسمع ولا يعمل بها فيكون فى خطر من هذه الأمور الثلاثة لأنه بدون أساس راسخ ، فبسماعه دون العمل يبنى دماراً. لذلك أردف فى الحال « **وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما . فلما اكمل يسوع هذه الاقوال بهتت الجموع من تعليمه. لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة** .

هذا ما قصده النبى فى قوله « كلام الرب كلام نقى كفضة مصفاة فى بوط فى الأرض ممحوصة سبع مرات »[1] . فقد لاحظنا الرقم ٧ فى الوصايا ، كما فى فاتحة الموعظة فى عبارات المطوبين وفى

---

(١) مز ١٢ : ٥ ، ٦ .

أعمال الروح القدس التى أشار اليها أشعياء النبى [1]. (التى قارناها بعبارات المطوبين) وعلى كل ينبغى علينـا أن ننفذ ما قد سمعناه من الرب إن أردنا أن نبنى على الصخر .



ملحوظة : جميع العناوين من وضع المترجم

---

(١) أنظر أش ١١ : ٢ ، ٣ .

